

دروس في الإمامة والإمام

السيد محمد علي الحلو



دروس

في الإمامة و الإمام

دروس
في الإمامة و الإمام

السيد محمد علي الحلو

BP
٢٢٣/٥
٨ ح
٤ د

الحلو ، محمد علي ، ١٩٥٦ - م.

دروس في الإمامة و الإمام/ تأليف محمد علي الحلو؛ مقدمة قسم الشؤون الفكرية و الثقافية في العتبة العلوية المقدسة . — النجف : العتبة العلوية المقدسة . قسم الشؤون الفكرية و الثقافية ، ١٤٢٩ق. - ٢٠٠٨م.

١٣٦ص.

المصادر : في الحاشية.

١. الإمامة . ٢ . علي بن أبي طالب (ع) ، الإمام الأول، ٢٣قبل الهجرة - ٤٠ق. - اثبات الخلافة . ٣ . الأئمة الأثنا عشر — أحاديث ٤. محمد بن الحسن ، الإمام الأثنا عشر ، ٢٥٦ ق. طول عمر . ألف . عنوان .

تمت الفهرسة في مكتبة الروضة الحيدرية


بسم الله الرحمن الرحيم

من إصدارات



www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

الكتاب : دروس في الإمامة و الإمام .

المؤلف: السيد محمد علي الحلو .

الطبعة : الأولى .

المطبعة:

عدد النسخ : ٢٠٠٠

تاريخ الطبع : ١٤٢٩هـ .

الناشر : العتبة العلوية المقدسة

التنضيد و الإخراج الفني : حيدر الفرطوسي.

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية :

مقدمة

إن الإمامية تعتقد بأن الإمامة منصب إلهي وجعل من الله تعالى، فالله تعالى هو الذي ينصب من يكون إماماً للناس، هو الذي يختار هذا الإنسان ويجعله إماماً دون غيره وهناك الكثير من الآيات تبين ذلك منها قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء ٧٣)، وليس من حق الأمة أن تختار لها إماماً لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾ (الأحزاب ٣٦)، وهذا المنصب الإلهي الرفيع هو حق من حقوق الله تعالى فالإمامة لا ينالها من اتصف بالظلم سواء كان ظالماً لنفسه أو لغيره، كما قال تعالى ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ١٢٤).

إن الإمامة جزء من شرع النبي الأكرمﷺ، جاء بها النبي الكريم كما جاء بالصوم والصلاة والزكاة، وأوجب علينا الإيمان بهما، وكذلك وجب علينا الإيمان بالإمامة لأنها من عند الله وجزء من وحيه.

وإذا تأملنا في آيات القرآن الكريم رأينا أكثر من ذلك، وإنها تجعل الإمامة وولاية الإمام كولاية الله سبحانه وتعالى وولاية رسوله الكريمﷺ فقد جاء في سورة المائدة (٥٥ ـ ٥٦) ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ))، فهنا الآية الكريمة حصرت الولاية بالله ورسوله وبالذين آمنوا، وجعلت من يتولاهم من حزب الله سبحانه وتعالى. وبالتأكيد أن من لا يتولى ((الَّذِينَ آمَنُوا)) الذي خصته الآية الكريمة يخرج من حزب الله سبحانه وتعالى ويدخل في حزب الشيطان، ومن هنا يتضح لنا أن الإمامة جزء من الدين الإسلامي يجب الاعتقاد بها كالاعتقاد بغيرها من أحكام الدين، وهي من أساسيات الدين فالتوحيد والنبوة فهما أن من لم يؤمن بالله وبالنبيﷺ لا يكون مؤمناً كذلك من لا يؤمن بالإمام.

إن مصطلح الإمامة عند مذهب الحق يعني قيادة الأمة الدينية والدنيوية بعد النبيﷺ، بينما تذهب المذاهب الأخرى لغير ذلك إذ تطلقها على الرئاسة الدنيوية التي تحصل بالغلبة والقهر أو البيعة ... لذا تكون الحاجة إلى الإمام و وجوده من كل عهد لكي يحكم بالواقع وكلمة الحق. والمعيار لمعرفة شخصية الإمام والميزان لمعرفة القائد والحافظ لشريعة سيد الأنام، فقد سئل الخليل بن أحمد ما الدليل على إمامة عليعليه السلام؟ فأجاب: (غناه عن الكل وحاجة الكل إليه دليل إمامته على غيره، وتقدمه على كل من سواه).

ومن هنا وجب التمييز بين مستحق الخلافة ومغتصبها، أو من تصدى للخلافة من لا يعرف الأب والكلالة، ومن نادى بالإمامة، وكان حليف العثرة والزلة، وجاهل، وبعيد عن الكتاب والسنة، ومن هو غليظ فض قاس، والمعترف بأن ربات الحجال أكثر منه علماً ومعرفة...

فمن هنا وجب الالتزام بالعترة المعصومة التي أوصى بها النبي الأكرم إذ قال (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

وهذا الكتاب عزيزي القارئ يوضح بأسلوب شيق وجميل معنى الإمامة وكيفية الاعتقاد بالإمام إذ تعتبر أصلاً من أصول الدين عند الإمامية.

ويحرص قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة على الإسهام في دعم جهود الباحثين والمحققين من خلال نشر عقائد الإسلام وأصول المذهب وترسيخها في النفوس المؤمنة بشكل علمي وفق ما يوافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

هذه مجموعة من الدروس العقائدية التي لا ينبغي لأي أحد تجاهلها أو عدم معرفتها ، فهي دروس تمهيدية لابد من إتقانها ، يحتاجها المكلف في تعامله مع أئمته أهل البيت عليهم السلام على المستوى العقائدي الذي لا يمكن تجاوزه بأي عذر كان .

إن الأفكار التي تخترق حاضرنا وكياننا بما يتيح للآخرين فرض البديل العقائدي أو محاولة القيمومة الفكرية على عقولنا لا يمكن لهذه الأفكار أن ترى النور في مجتمع حصّن فكره وعقيدته بما ينبغي له أن يتكامل عقائدياً .

وفي مضمار التسابق العقائدي المقابل لفكر أهل البيت عليهم السلام تظهر أهمية مثل هذه البحوث التي نقدمها للجميع بما فيهم طلبة الحوزات العلمية التي تكون سباقة للتصدي لأي فكر هجين يحاول النيل من قداسة أهل البيت عليهم السلام .

فإلى الحوزات العلمية والطبقات المثقفة المؤمنة أقدّم هذا المجهود المتواضع سائلاً الله أن يأخذ بأيدينا لما فيه خير الدنيا والآخرة مكللا بالرضا والقبول من ساداتنا وأئمتنا الهداة عليهم السلام .

دروس في الإمامة والإمام

الدرس الأول :

إن الأرض لا تخلو من حجة :

تعتقد الإمامية أن الأرض لا تخلو من حجة ظاهر مشهور أو خائف مغمور ، لئلا تبطل حجج الله و بيناته ،فعن كميل بن زياد أن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال في كلام طويل : اللهم إنك لا تخلي الأرض من قائم لله بحجة، أما ظاهر مشهور، أو خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله و بيناته.

وقد أخذوا ذلك من كتاب ربهم في قوله تعالى: ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)) [1] .

وفي أسباب نزولها ورد أن الكفار لما اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينزل آية كما حكاه الله تعالى في آيات أخر ، من تفجير الأنهار ونقل جبال مكة عن أماكنها لتتسع على أهلها وإنزال كتاب من السماء إلى الأرض يقرؤون فيه الأمور التي دعاهم إليها، فقال تعالى: ليس أمر الأيات

---

(١) الرعد : ٧ .

إليك، إنما أمرها إلى الله ينزلها على ما يعلمه من مصالح العباد ، إنما أنت منذر ولكل قوم هاد .[١]

وقد اختلف في تفسيرها بوجوه أحدها ما روي من طرق الإمامية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام : إن الهادي هو إمام كل عصر معصوم يؤمن عليه الغلط وتعمد الباطل[٢] .

ثم رووا عن ابن عباس أنه قال :

لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي ، يا علي بك يهتدي المهتدون[٣] .

ووافقهم ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر وابن النجار .

وتابعهم الضياء المقدسي في المختارة، وكذا عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم في صحيحه[٤] .

وما رواه الطبري بإسناده عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله[٥] .

واحتج الأمامية لتفسير الآية بما رواه عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام، إذ قال :

---

(١) راجع تفسير التبيان للشيخ الطبرسي ٦ : ص٢٢٢ ، مطبعة الأمين ، النجف الأشرف .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار للمجلسي : ٢٣ / ٢ .

(٤) الدر المنثور للسيوطي : ٤ / ٥٤ ط بيروت .

(٥) تفسير التبيان للطوسي : ٦ / ٢٢٣ .

كنت يوماً من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام، فقال: يا عبد الرحيم، قلت : لبيك، قال : قول الله: إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعلي الهادي، ومن الهادي اليوم؟ فقال: فسكت طويلاً ثم رفعت رأسي، فقلت: جعلت فداك هي فيكم توارثتموها رجل فرجل حتى انتهت إليك فأنت جُعلت فداك، الهاد. قال: صدقت يا عبد الرحيم، أن القرآن لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا فمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين ، وقال عبد الرحيم : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن القرآن حي لم يمت وأنه يجري الليل والنهار كما تجري الشمس والقمر ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا[١].

واستدلت الإمامية على وجوب الإمامة بالدليل العقلي فضلاً عن الأدلة النقلية المتواترة لدى الفريقين ، فأثبتت بقاعدة اللطف وجوبها واستدلت على ذلك: من أن الناس متى كان لهم رئيس منبسط اليد، قاهر عادل، يردع المعاندين، ويقمع المتغلبين وينتصف للمظلومين من الظالمين، اتسقت الأمور وسكنت الفتن و درت المعائش، وكان الناس مع وجوده - أي الإمام - إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد.

ومتى خلوا من رئيس صفته ما ذكرناه انكدرت معائشهم وتغلب القوي على الضعيف وانهمكوا في المعاصي ووقع الهرج والمرج وكانوا إلى الفساد اقرب ومن الصلاح أبعد[٢].

---

(١) تفسير العياشي : ٢ / ٢٠٣ المكتبة الإسلامية ، طهران .

(٢) تلخيص الشافي للشيخ الطوسي : ١ / ٧٠ ط٢ مطبعة الآداب . النجف ١٩٦٣ .

ثانياً : عقيدتنا في النص على الإمام..

تعتقد الإمامية كافة أن طريق تعيين الإمام الثابت من الله تعالى عن طريق النبي صلى الله عليه وآله أو إمام ثبتت إمامته بالنص كذلك، فالسابق ينص على إمامة اللاحق وهكذا، فضلاً عن ظهور المعجز على يديه - وسيأتي بسط الكلام في مبحث الولاية التكوينية إن شاء الله تعالى -.

تستدل الإمامية على وجوب النص على الإمام من كتاب الله تعالى في قوله : ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)). (١)

وقوله تعالى : ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)). (٢)

ويستفاد من ضم الآيتين إلى بعضهما، كيف أن الله تعالى أنكر على من اقترح أن تكون الرسالة في رجل من القريتين عظيم وهو الوليد بن المغيرة المخزومي من أهل مكة أو حبيب بن عمرو من أهل الطائف ، حيث قال الكافرون أن الرسالة لا تصلح إلا لعظيم القريتين ذي الأموال الجسيمة والمكانة الخطيرة ، فهو أولى بالنبوة من غيره ، وقد رد عليهم تعالى ، أنه يقسم الرحمة بالنبوة كما يقسم الرزق في المعيشة على حسب ما يعلم من مصالح عباده فليس لأحد أن يتحكم في شيء من ذلك ، فقال تعالى على وجه الإنكار عليهم والتهجين لهم ((أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ)) أي ليس لهم ذلك

---

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) الزخرف : ٣٢ .

بل ذلك إليه تعالى [1]. والله تعالى يختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم ويختار للرسالة ما هو الأصلح من عباده [2].

ومثله ما أخرجه ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن مجاهد كما أخرجه كذلك ابن عساكر عن مجاهد أيضاً .

فتحصّل أن أمر النبوة والإمامة لم يكن باختيار الأمة ، بل هو راجع إليه تعالى يختار من يشاء من عباده وليس لرغبة أحد في تعيين النبي أو الإمام من دخل ، فلا إجماع ولا شورى ولا رأي مقابل إرادته جل شأنه وعظم سلطانه .

ولما كانت الإمامية توجب العصمة في الإمام - كما سيأتي الكلام عن العصمة لاحقاً إن شاء الله تعالى - فإن تعيين المعصوم أمر خفي يتعسر على الأمة معرفته من بينها ذلك لتعلقه بالضمائر و ما تخفي الصدور .

والى هذا أشار الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ، بقوله :

الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، فلذلك لا يكون إلا منصوصاً [3]. فإن القول بتعيينه بالنص ما لابد منه .

ويدلل على ذلك ما رواه سعد بن عبد الله القمي :

قال : سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه .

فقلت : أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم ؟

---

(١) راجع تفسير البيان للطبرسي : ٩ / ١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٧ / ٢٦٢ .

(٣) البحار : ٢٥ / ١٩٤ .

قال : مصلح أو مفسد ؟

قلت : مصلح .

قال : هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟

قلت : بلى .

قال : فهي العلة أيدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك ؟

قلت : نعم .

قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالوحي والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى أن لو ثبت الاختيار[1] ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام ، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن ؟

قلت : لا .

قال : فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين ، قال الله عز وجل : ((وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ))، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور

(١) في نسخة من البحار فأهدى إلى ثبت الاختيار .

وما تكن الضمائر وتنصرف عنه السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح[1] .

قال العلامة الحلي في شرحه على كلام الشيخ نصير الدين الطوسي عند قوله : والعصمة تقتضي النص .. .

قال في معرض تعليقه ، ذهبت الإمامية خاصة إلى أن الأمام يجب أن يكون منصوصاً عليه ، وقالت العباسية أن الطريق إلى تعيين الإمام النص أو الميراث ، وقالت الزيدية تعيين الإمام بالنص أو الدعوة إلى نفسه ، وقال باقي المسلمين ، الطريق إنما هو النص أو اختيار أهل الحل والعقد ، والدليل على ما ذهبنا إليه وجهان :

الأول : إنا قد بينا أنه يجب أن يكون الإمام معصوماً والعصمة أمر خفي لا يعلمها إلا الله تعالى ، فيجب أن يكون نصبه من قبله تعالى لأنه العالم بالشرط دون غيره .

الثاني : إن النبي صلى الله عليه وآله كان أشفق على الناس من الوالد على ولده حتى أنه عليه وآله السلام أرشدهم إلى أشياء لا نسبة لها إلى الخليفة بعده ، كما أرشدهم في قضاء الحاجة إلى أمور كثيرة مندوبة وغيرها من الوقايع ، وكان عليه وآله السلام إذا سافر عن المدينة يوماً أو يومين استخلف فيها من يقوم بأمر المسلمين ومن هذا حاله كيف ينسب إليه إهمال أمته وعدم إرشادهم في أجلّ الأشياء وأسناها وأعظمها قدراً وأكثرها فائدة وأشد حاجة إليها وهو المتولي لأمورهم بعده ، فوجب من

---

(١) البحار : ٢٣ / ٦٨ .

سيرته عليه السلام نصب إمام بعده والنص عليه وتعريفهم إياه وهذا برهان لمي [1] .

ولما استدلت الإمامية على أن الإمامة نص لا دخل لأحد حتى الإمام السابق في تعيين من أراده وشاءه ، بل هو اصطفاء إلهي على لسان النبي صلى الله عليه وآله يبلغ السابق منهم اللاحق حتى آخرهم صلوات الله عليهم أجمعين .

فعن الصادق عليه السلام قال :

أترون الأمر الينا أن نضعه فيمن شئنا ؟ كلا، والله إنه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، رجل فرجل إلى أن ينتهي إلى صاحب هذا الأمر [2] .

ومثله عن الصادق عليه السلام أيضاً ما رواه عمرو بن الأشعث قال :

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ونحن عنده في البيت نحو من عشرين رجلاً فأقبل علينا وقال : لعلكم ترون أن هذا الأمر في الإمامة إلى الرجل منا يضعه حيث يشاء ، والله أنه لعهد من الله نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجال مسمّين رجل فرجل حتى ينتهي إلى صاحبها [3] .

---

(١) كشف المراد للعلامة الحلي : ٣٦٦ البرهان اللمي : هو الاستدلال بالعلة على المعلول ، كقولنا هذه الحديدة مرتفعة الحرارة وكل حديدة مرتفعة الحرارة تتمدد ، فهذه الحديدة متمددة ، وهنا استنتجنا تمدد الحديدة وهي المعلول من العلة وهي الحرارة .

(٢) البحار : ٢٣ / ٧١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٣ / ٧٥ .

ونحن ذاكرون - إن شاء الله تعالى - نصوصاً تدل على إمامة أئمة آل البيت عليهم السلام وأنهم المذكورون بأسمائهم وأسماء آبائهم، وهو المتواتر عند الإمامية بإجماعها، والمشهور بل المتواتر عند غيرهم من أبناء السنة، ومن شاء فليراجع مصادرهم ليجد تراجمهم في كتبهم يعبرون عن كل واحد منهم بالإمام أو مجرداً عن ذلك مع الثناء الجميل والذكر العظيم .

والنصوص الدالة على إمامتهم منها عامة مجملة تشير إلى عددهم الاثني عشر ، ومنها النصوص الخاصة التي تصرح بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وسنورد نماذج من كلا الطائفتين محافظة على الاختصار والإيجاز .

النصوص العامة التي تحدد الأئمة عليهم السلام :

فمما روته الإمامية عن طريق الشيخ الصدوق في خصاله يرفعها إلى الشعبي عن مسروق ، قال :

بينا نحن عند عبد الله بن مسعود نعرض مصاحفنا عليه ، قال له فتى شاب: هل عهد إليكم نبيكم صلى الله عليه وآله كم يكون من بعده خليفة؟ قال: إنك لحدث السن وإن هذا شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، نعم عهد إلينا نبينا صلى الله عليه وآله أنه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل [1] .

وعن جابر بن سمرة قال :

---

(١) الخصال للصدوق : ٤٦٧ ـ ٤٦٩ طبع مؤسسة جماعة المدرسين / قم .

جئت مع أبي إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فسمعته يقول : بعدي اثنا عشر يعني أميراً ، ثم خفض صوته فلم أدر ما يقول فقلت لأبي : ما قال ؟ فقال: قال: كلهم من قريش [1] .

ومثله ما رواه البخاري في صحيحه، قال :

حدثني محمد بن المثنى حدثنا غندر حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابرة بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم اسمعها فقال أبي أنه قال كلهم من قريش [2] .

النصوص التي تشير إلى أسماء الأئمة عليهم السلام :

وقد أوردت الإمامية من الأحاديث الصحاح على إمامة الأثني عشر إماماً الذين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم أئمة بعده عدتهم كعدة نقباء بني إسرائيل أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي حجة آل محمد صلى الله عليه وآله .

لم تنجح أية دعوة مغايرة لما أكدته الإمامية في أن حديث الأئمة من قريش اثنا عشر إماماً المقصود منه أئمتهم عليهم السلام ، فبنو أمية زاد عدد خلفاؤهم أكثر من ثلاثين وناهز خلفاء بني العباس أكثر من ذلك [3] ، ولم يستقر العدد هذا إلا على أئمة أهل البيت الاثني عشر .

دلنا على ذلك ما تواتر من الروايات المتكاثرة عن النبي صلى الله عليه وآله في أن الأثني عشر إماماً هم علي وأولاده الأحد عشر .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) صحيح البخاري ، باب الأحكام : ٩ / ١٠١ دار الجيل ، بيروت .

(٣) خلفاء المدرستين قراءة في نصوص أهل السنة ، ٦٣ للمؤلف / مركز الغدير للدراسات الإسلامية ١٩٩٨م .

فمن ذلك ما رواه أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي عن المفيد أو عبد الله محمد بن النعمان عن أبي القاسم جعفر بن قولويه عن محمد يعقوب الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن أبي عبد الله ومحمد الحسن عن سهل بن زياد جميعاً عن الحسن بن العباس عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله آمنوا بليلة القدر فإنه ينزل فيها أمر السنة وأن لذلك الأمر من بعدي علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده عليهم السلام [١] .

وما رواه بهذا الإسناد عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام عن أبيه عن جده قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني واثني عشر من أهل بيتي أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام أوتاد الأرض التي أمسكها الله بها أن تسيخ بأهلها فإذا ذهب الاثنا عشر من أهلي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا [٢] .

ومما رواه أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما رووه عن جابر بن عبد الله الأنصاري عنه صلى الله عليه وآله قال:

الثقة المحدث الجليل أحمد بن محمد بن عبد الله بن عياش : حدثني محمد بن عثمان بن محمد الصيداني وغيره، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا سليمان بن حرب الواشجي قال حدثنا حماد

---

(١) الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار : ٧ / ٨ ، دار الأضواء ، بيروت ، ط٢ ١٩٨٥م .

(٢) المصدر نفسه .

بن يزيد عن عمر بن دينار عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان واختارني واختار من علي الحسن والحسين واختار من الحسين حجة العالمين تاسعهم قائمهم أعلمهم أحكمهم [١] .

وسيأتي تتمة البحث في محله إن شاء الله تعالى .

---

(١) مقتضب الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر لابن عياش : ١١ . ط النجف الأشرف ، المطبعة العلوية : ١٣٤٦ .

الدرس الثاني

في صفات الإمام

تعتقد الإمامية أن الإمام يجب أن يتصف بالأمور التالية :

الأول : الإمام يجب أن يكون معصوماً ...

الثاني : الإمام أن لا يسبق منه معصية قط ..

الثالث : الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه ..

الرابع : الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ..

الخامس : الإمامة رئاسة عامة ، وإنما تستحق : بالزهد ، والعلم ، والعبادة والشجاعة ، والإيمان[1].

السادس : الإمام يجب أن يكون أعقل رعيته ..

السابع : الإمام يجب أن يكون على صورة غير منفرة ولا مشينة ، ولا يلزم أن يكون أحسن الناس وجهاً [2] .

واليك تفصيل ذلك مختصراً :

---

(١) كشف الحق ونهج الصدق للعلامة الحلي : ١٧ دار الكتاب اللبناني .

(٢) الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد للشيخ الطوسي : ص١٩ ، قم ، مطبعة الخيام : ١٤٠٠هـ .

الأول : الإمام يجب أن يكون معصوماً .

تعتقد الإمامية بوجوب عصمة الإمام ، والعصمة اصطلاحاً هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان، كما أن العصمة بمعنى المنع لغةً كما في قولنا عصمت الماء أي منعته، و العصمة ملكة اجتناب المعاصيأو الخطأ[1].

قال المجلسي رحمه الله :

اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فلا يقع منهم الذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه [2] .

و لإثبات ذلك قول الله تعالى ((قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))[3].

قال الشيخ الطبرسي في تفسيره للآية :

قال مجاهد العهد الإمامة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أي لا يكون الظالم إماماً للناس، فهذا يدل على أنه يجوز أن يعطي ذلك بعض ولده إذا لم يكن ظالماً لأنه لو لم يرد أن يجعل أحداً منهم إماماً للناس لوجب أن يقول في الجواب لا ، أو لا ينال عهدي ذريتك .. ثم قال: واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة

---

(١) لسان العرب : مادة (عصم).

(٢) البحار : ٢٥ / ٢٠٩ .

(٣)البقرة : ١٢٤ .

ظالم ، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وأما لغيره ، فإن قيل إنما نفى أن يناله ظالم حال ظلمه فإذا تاب لا يسمى ظالماً يصح أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها فلا ينالها الظالم و إن تاب فيما بعد[1].

ومال إليه بعض مفسري المسلمين، فأخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية، قال:

يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا ينبغي له أن يوليه شيئاً من أمره .

ومثله ما أخرجه وكيع وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد [2].

واستدل الإمامية على عصمة الإمام بما رووه عن نبيهم صلى الله عليه وآله ، وما حدثوهم به أئمتهم عليهم السلام ، ففي الخبر المروي عن ابن عباس، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون [3] .

وما رواه الحسين الأشقر قال:

قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم إن الإمام لا يكون إلا معصوماً؟

---

(١) البيان في تفسير القرآن للطبرسي : ١ / ٢٠٢ .

(٢) الدر المنثور للسيوطي : ١ / ١١٨ .

(٣) البحار : ٢٥ / ١٩٥ .

قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك ، فقال : المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله وقد قال الله تبارك وتعالى : ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم [1] .

استدل الإمامية على وجوب العصمة بالدليل العقلي ، من أن الإمامة لطف لمن لا يقارف الخطأ والظلم ، ولا يرتكب القبائح والمعاصي ، للياقة من هذه صفاته على بسط العدل في الأمة وإقامة الأمن للرعية ، مقوماً لها ، ومبيناً ما يجب عليها اجتنابه ، ومسدداً لها ما يجب عليها إتباعه ، لحاجة الأمة إليه في تقويمها للصواب ، وتحذيرها عن ارتكاب ما يخل في وجوب الطاعة لله تعالى ، فلو لم تكن هذه الصفة لاحتاج الإمام إلى إمام آخر يقوّمه إذا أخطأ وهذا الإمام يحتاج إلى إمام غيره ليسدده وهكذا ، فلزم أن يكون الإمام معصوماً لئلا يحتاج إلى غيره وهو المطلوب .

ثم أن القرآن والسنة لما كانت محتملة لوجوه كثيرة من التأويل وجب أن يكون المبين لها صادق معصوم ليأمن من الكذب والخطأ ، فأحكام الله تعالى لا تصل إلى عباده إلا بالتبليغ الذي يقوم به الإمام ، وإذا كان الإمام غير معصوم احتمل عليه تعمد الكذب والخطأ وهو ينافي حكمة التبليغ ، فوجب أن يكون المبلغ إماماً معصوماً وهو المطلوب .

ومن حديث هشام بن الحكم نستفيد معرفة سبب العصمة عند الإمام وما المقومات النفسية التي ساعدته على أن يكون معصوماً فضلاً عن لطف الله وعنايته؟.

فعن محمد بن أبي عمير قال :

---

(١) المصدر السابق .

ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام ، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه وبأي شيء تعرف؟، قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها : الحرص ، والحسد، والغضب ، والشهوة فهذه منتفية عنه .

لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟! ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من هو فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه ؟!

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل .

ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة كما ننظر إلى الدنيا ، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام مر ، وثوباً ليناً لثوب خشن ، ونعمة دائمة باقية، لدنيا زائلة فانية؟! [1].

ولكي نحيط بأدلة الإمامية العقلية على وجوب العصمة ، لا بأس بالإشارة المختطفة لما أورده الحر العاملي من أدلة عقلية منضماً إليها مقدمات نقلية وإليك ما ارتأينا تثبيته مختصراً:

الأول : أنه لو جاز شيء من ذلك - أي الخطأ والنسيان - عليهم لزم التنفير عنهم وعدم قبول أقوالهم وأفعالهم وهو نقض.

الثاني: إنّا مأمورون بإتباع النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام وترك الاعتراض عليهم ، فلو جاز الخطأ والسهو والنسيان لوجب

---

(١) أمالي الصدوق : ص٥٠٥ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ .

متابعتهم وكنا مأمورين به ، والأمر بإتباع الخطأ قبيح فلا يصدر من الحكيم .

الثالث : أنه لو جاز عليهما الخطأ والنسيان لاحتاجا إلى الرعية لينهوهم على خطأهم فيتساوي المعصوم وغير المعصوم .

الرابع : أنه حافظ للشرع فلو جاز عليه الخطأ والسهو والنسيان لأدى إلى التضليل والأغراء بالجهل والتبديل وصار احتمال النسخ مساوياً لاحتمال السهو واحتمال الصحة مقاوماً لاحتمال الفساد وهو نقض الغرض المطلوب من العصمة .

الخامس : أنه لو جاز السهو والنسيان على المعصوم لجاز تركه للواجبات وفعله للمحرمات سهواً .

السادس : إنه لو جاز السهو والنسيان وترك الواجبات والإتيان بالمحرمات عن غير عمد .. لكان ظالماً لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه والظالم لا يكون إمام ، لقوله تعالى : ((لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) . والمراد عهد الإمامة ..

السابع : لو جاز الخطأ والسهو على المعصوم لزم إفحامه لأن الرعية لا تتبعه إلا فيما علمت صوابه ولا يعلم صوابه إلا منه.

الثامن : أنه لو جاز عليه السهو والنسيان في غير التبليغ جاز منه الكذب والسهو في غير التبليغ أيضاً فلا يوثق بشيء من أقواله في غيره وبطلانه قطعي .

التاسع : أنه لو كانت العصمة مختصة بالتبليغ لجاز عليه وقوع المعصية سهواً بعد تبليغ إنها معصية ووجب علينا أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وهو ينافي نصبه أو سقوط وجوبها هنا .

العاشر: أنه لو جاز ذلك لما أمكن الاحتجاج والاستدلال بشيء من أفعاله ولا أقواله لاحتماله السهو والنسيان ..

الحادي عشر : أنه إذا صدر منه فعل على سبيل السهو والنسيان فأما أن يجب اتباعه وهو باطل للغرض قطعاً ومناف للغرض من نصبه ، وأما أن لا يجب اتباعه وهو خلاف نص قوله تعالى : ((إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي))[1] .

الثاني عشر : أنه لو جاز عليه السهو والنسيان و الخطأ والغلط ... لما قبلت شهادته وحده فضلاً عن دعواه لنفسه وجاز تكذيبه وأقله التوقف في تصديقه.

الثالث عشر : أنه لو جاز ذلك لأمكن وقوع إتلاف مال الغير منه وغصبه نسياناً، ولأمكن نسيانه للحق الذي في ذمته بل يمكن حينئذ صدور القتل منه لبعض المؤمنين نسياناً ووجوب الدية عليه وإذا ادعى أصحاب هذه الحقوق يحتاج إلى إمام آخر يحكم عليه ويدور أو يتسلسل وجميع ذلك باطل قطعاً.

الرابع عشر: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة واجبة بالضرورة من الدين وأحق الناس بها النبي والإمام وليس ذلك من قسم التبليغ لإختصاصها بالآحاد والجزئيات وظهور كون التبليغ بقواعد كلية للأحكام الشرعية، سلمنا، لكن الأمر والنهي باليد من ضرب وغيره خارج عن التبليغ قطعاً وحينئذ يجوز عليهما السهو والنسيان والخطأ والغلط فيأمران بالمنكر وينهيان عن المعروف ولا يخفى فساده، وبطلانه ضروري .

الخامس عشر : إن النبي صلى الله عليه وآله لو لم يكن معصوماً من السهو والنسيان لما صلح أن يكون شهيداً على الناس لاحتمال نسيانه

---

(١) آل عمران : ٣١ .

الشهادة، فإنها ليست من قسم التبليغ قطعاً فينافي قوله تعالى : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))[١].

السادس عشر : لو جاز السهو والنسيان على المعصوم في غير تبليغ لجاز عليه تعدي حدود الله سهواً وإذا صدر ذلك منه كان ظالماً، لقوله تعالى : ((وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))[٢]. ولما تقدم والظالم لا يناله عهد الإمامة لما مر .

السابع عشر : لو جاز السهو والنسيان على المعصوم في غير التبليغ لجاز أن يقاتل المؤمنين المعصومين ويجاريهم نسياناً وسهواً وإذا جاز ذلك جاز للمؤمنين محاربته على وجه المدافعة لما تقرر من أدلتها العقلية و النقلية كقوله تعالى : ((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ))[٣] . وقوله تعالى : ((وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ))[٤]. وغير ذلك والأحاديث في ذلك كثيرة وإذا جاز ذلك وأدى إلى القتل كان قتله جائزاً بل واجباً وهو باطل بالضرورة .

الثامن عشر : لو جاز عليه السهو والنسيان لجاز عليه الكذب سهواً في غير التبليغ .. وكل كاذب ظالم لقوله تعالى : ((فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) [٥]

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

(٣) البقرة : ١٩٤ .

(٤) البقرة : ١٩٠ .

(٥) التنزيه بالمعلوم من البرهان على تنزيه المعصوم عن السهو و النسيان للحر العاملي : ٤٥ ، المطبعة العلمية : قم ، ١٤٠٩ .

هذا هو اعتقاد الإمامية في عصمة الإمام، بل الأنبياء والرسل ولم يشذ منهم أحد ومن نفى عنهم ذلك فقد جهلهم، والى هذا أشار الصدوق في اعتقاداته بقوله :

((اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس ، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومن نفى العصمة عنهم في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ، واعتقادنا فيهم أنهم الموصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى آخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل))[١] .

الثاني : من صفات الإمام : أن لا يسبق معصية منه قط ...

وهي فرع العصمة ، فالإمامية تعتقد في عصمة الإمام قبل إمامته فضلاً عن أثنائها، ولهم على ذلك قوله تعالى: لا ينال عهدي الظالمين ، فإن إطلاق الآية يقتضي أن لا ينال عهد من كان ظالماً سواء قبل أو بعد الإمامة ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، وأعظمه الشرك بالله تعالى، وعلى هذا يلزم منه نفي الإمامة عمن عبد صنماً أو سجد لوثن قبل إسلامه، ومنه فقد نفوا الإمامة عن غير من نص الله على إمامته، وعلي بن أبي طالب قد كرم الله وجهه[٢] عن السجود لصنم أو عبادة غير الله من

---

(١) عقائد الصدوق : ١٠٨ .

(٢) اعتاد أهل السنة أن يردفوا جملة ((كرم الله وجهه)) بعد ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام إشارة منهم على أنه لم يسجد لصنم وقد كرم الله وجهه عن ذلك وهي خصيصة قد أختص بها دون الصحابة .

نعومة أظفاره ، وقد تظافرت مرويات الفريقين بأن علياً لم يسجد لصنم وقد أسلم وعمره سبع سنين أو مادون ذلك على اختلاف الروايات المتواترة جداً، ومن كان هذا حاله فحقيق أن لا تصدر منه معصية بعد بلوغه ، كيف وقد لازم النبي صلى الله عليه وآله حتى أخريات حياته الشريفة ؟ وعليه فقد تعيّنت عصمته فضلاً عن نص الله تعالى عليه بالإمامة وبهذا فقد ثبت مطلوبهم .

قال الصدوق :

في قوله تعالى: ((لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) أعني به أن الإمامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً أو أشرك بالله طرفة عين وإن اسلم بعد ذلك والظلم وضع الشيء في غير موضعه وأعظم الظلم الشرك ، قال الله عز وجل : ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[1] وكذلك لا تصلح الإمامة لمن قد ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً وإن تاب منه بعد ذلك وكذلك لا يقيم الحد من في جنبه حد[2].

روى المجلسي عن الأمالي عن الحفار عن إسماعيل بن علي الدعبلي عن أبيه وإسحاق بن إبراهيم الديري معاً عن عبد الرزاق عن أبيه عن مثنى مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن مسعود ، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا دعوة أبي إبراهيم . قلنا يا رسول الله وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم ؟ قال : أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم : إني جاعلك للناس إماماً . فاستخف إبراهيم الفرح ، فقال : يا رب من ذريتي أئمة مثلي فأوحى الله عز وجل إليه أن يا إبراهيم لا أعطي لك عهداً لا أفي لك به ،

---

(١) لقمان : ١٣ .

(٢) الخصال للصدوق : ص٣١٠ دار التعارف / بيروت ، ١٣٨٩ .

قال : يا رب ما العهد الذي لا تفي لي به ؟ قال : لا أعطيك عهداً لظالم من ذريتك ، قال : يا رب ومن الظالم من ولدي لا ينال عهدي ؟ قال من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً ، ولا يصح أن يكون إماماً ، قال إبراهيم : ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ)) قال النبي صلى الله عليه وآله : فانتهت الدعوة إليَّ وإلى أخي علي عليه السلام لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبياً وعلياً وصياً))[1] .

الثالث : الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه ..

وقد ذكرنا ما ينفع المقام بشكل موجز فراجع [2] .

الرابع : الإمام يجب أن يكون أفضل رعيته .

تعتقد الإمامية أن الإمام أفضل رعيته وعليه فلا يجوز تفضيل أحد عليه ، فإن في ذلك تفضيل المفضول على الفاضل وهو قبيح نقلاً وعقلاً .

أما النقل : فما ورد في كتاب ربهم من قوله تعالى : ((أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)) [3]

وقوله تعالى : ((إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [4] .

وقوله تعالى : ((هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)) [5].

---

(١) البحار : ٢٥ / ٢٠٠ .

(٢) مبحث عقيدتنا في النص على الإمام .

(٣) يونس : ٣٥ .

(٤) البقرة : ٢٤٧ .

(٥) الزمر : ٩ .

قال المجلسي في تفسيره للآيتين الأوليتين :

لا يخفى على المنصف أن تعليق الاصطفاء وتعليله في الآية الأولى على زيادة البسطة في العلم والجسم ، يدل على أن الأعلم والأشجع أولى بالخلافة والإمامة ، وبيان الأولوية متابعة من يهدي إلى الحق على متابعة من يحتاج إلى التعلم، والسؤال على ابلغ وجه وأتمه في الثانية يدل على أن الأعلم أولى بالخلافة، ولا خلاف في أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان أعلم وأشجع من المتقدمين عليه، ولا في أن كلا من أئمتنا عليهم السلام كان أعلم ممن كان في زمانه من المدعين للخلافة وبالجملة دلالة الآيتين على اشتراط الأعلمية و الأشجعية في الإمام الظاهر[1].

فضلاً عما روي عن أئمتنا صلوات الله عليهم في جملة من صفات الإمام ، فيها ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله ، قال :

للإمام علامات، يكون أعلم الناس وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، و أسخى الناس، وأعبد الناس ... الحديث[2].

هذا في مجال النقل، أما كونه أفضل أهل رعيته عقلاً فقد تعهد العلامة الحلي على بيان ذلك بقوله:

أن يكون أفضل من رعيته لأنه أما أن يكون مساوياً لهم أو أنقص منهم او أفضل ، والثالث هو المطلوب ، والأول محال ، لأنه مع التساوي يستحيل ترجيحه على غيره بالإمامة ، والثاني أيضاً محال لأن المفضول يقبح عقلاً تقديمه على الفاضل ، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ((أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ

---

١) البحار : ٢٥ / ١١٥ .

٢) البحار : ٢٥ / ١١٦ .

أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)) [1] ويدخل تحت هذا الحكم كون الإمام أفضل في العلم والدين والكرم والشجاعة وجميع الفضائل النفسانية والبدنية [2] .

وفي موضع آخر استدل على قبح تقديم المفضول على الفاضل بقوله :

فإن العقل يقبّح تقديم المفضول و إهانة الفاضل ، ورفع مرتبة المفضول وخفض مرتبة الفاضل ، والقرآن نص على إنكار ذلك ، فقال تعالى : ((أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)) وقال تعالى: ((هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ))[3] وكيف ينقاد الأعلم، الأزهد، الأشرف حسباً ونسباً للأدون ذلك كله؟ [4] .

وإذا ثبت ذلك ، فلك أن تنقل الكلام نفسه لإثبات أن الإمام هو أعقل رعيته، وهو فرع كون الإمام أفضل أهل رعيته، وما يقال في ذلك قيل في وجوب كون الإمام على صورة غير منفرة ولا مشينة لأنه أفضل رعيته في ظاهره كما هو أفضلهم في باطنه .

وليس أدل على ما ذكرناه ، ما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

قام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيباً فقال في آخر خطبته : جمع الله عز وجل لنا عشر خصال لم يجمعها لأحد قبلنا ولا تكون في

---

(١) يونس : ٣٥ .

(٢) كشف المراد للعلامة الحلي : ٣٩٢ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي : ١٦٨ .

أحد غيرنا : فينا الحكم والحلم والعلم والنبوة والسماحة والشجاعة والقصد والصدق والطهور والعفاف ، ونحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى والحبل المتين ، ونحن الذين أمر الله لنا بالمودة، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون[1] .

ولهشام بن الحكم حجة جامعة لفضائل الإمام أوردها في جوابه على من سأله عن الدليل على الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله فقال :

الدلالة ثماني دلالات أربع منها في نعت نسبه و أربع في نعت نفسه ... إلى أن قال: وأما الأربعة التي في نعت نفسه فأن يكون أعلم الخلق، و أسخى الخلق، وأشجع الخلق، وأعف الخلق وأعصمهم من الذنوب صغيرها وكبيرها لم تصبه فترة لا جاهلية، ولابد من أن يكون في كل زمان قائم بهذه الصفة إلى أن تقوم الساعة .

فقال عبد الله بن يزيد الأباضي وكان حاضراً: من أين زعمت يا هشام أنه لابد أن يكون أعلم الخلق؟

فقال : إن لم يكن عالماً لم يؤمن أن ينقلب شرائعه وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد، ويحد من يجب عليه القطع، وتصديق ذلك قول الله عز وجل: ((أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)).

قال : فمن أين زعمت أنه أشجع الخلق ؟ قال لأنه قيمهم الذي يرجعون إليه في الحرب فإن هرب فقد باء بغضب من الله ولا يجوز أن يبوء الإمام بغضب الله وذلك قوله عز وجل : ((إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ

---

(١) البحار : ٢٦ / ٢٤٤ .

* وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)).

قال: فمن أين زعمت أن يكون أسخى الخلق؟ قال: لأنه إن لم يكن سخياً لم يصلح للإمامة، لحاجة الناس إلى نواله وفضله والقسمة بينهم بالسوية ليجعل الحق في موضعه، لأنه إذا كان سخياً لم تُتق نفسه إلى أخذ شيء من حقوق الناس والمسلمين، ولا يفضّل نصيبه في القسمة على أحد من رعيته، وقد قلنا: إنه معصوم فإذا لم يكن أشجع الخلق وأعلم الخلق و أسخى الخلق وأعف الخلق لم يجز أن يكون إماماً[1].

(١) البحار: ٢٥ / ١٤٢.

الدرس الثالث

في نفي الغلو عن الأئمة عليهم السلام

الغلو في كل شيء تجاوز حده. يقال: غلا فلان في الدين يغلو غلواً [1] .

الغلاة هم الذين جعلوا للأئمة عليهم السلام منزلة الإلوهية وأخرجوهم عن مرتبة العبودية ، ونسبوا إليهم ما كان لله دون خلقه من التفويض إليهم في الخلق والإماتة والإحياء من دون الله تعالى .

ونحن معاشر الإمامية نبرأ إلى الله من الغلاة ومن دان بدينهم ، وننزه ربنا عن كل تفويض ، وننزه أئمتنا عن كل ما نسبه الغلاة لهم .

فعقائدنا بأئمتنا أنهم عباد الله مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وأنهم بشر مفتقرون إلى الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة من

---

(١) تفسير البيان للطبرسي : ٣ / ٣٩٩ .

أمورهم ، محتاجون إلى رحمته ورضوانه ، وأنهم سعدوا بعبوديتهم المطلقة له ، واستغنوا عن المخلوقين بحاجتهم إليه .

و الإمامية تدين بما قاله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في الإمام :

والإمام يولد ويلد ويصح ويمرض ويأكل ويشرب، ويبول و يتغوط، ويفرح ويحزن، ويضحك ويبكي، ويموت فيقبر، ويزاد فيعلم، ودلالته في خصلتين: في العلم واستجابة الدعوة، وكلما أخبر به من الحوادث التي تحدث قبل كونها كذلك بعهد معهود إليه من رسول الله صلى الله عليه وآله توارثه من آبائه عليهم السلام [1].

ومن قال خلاف ذلك فنحن منه براء ، ونلعن من قال فيهم ما يخرجهم عن عبودية ربهم كما لعن على لسان أئمتنا من قبل .

فعن الأصبغ بن نباتة ، قال :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى ، اللهم اخذلهم أبداً ، ولا تنصر منهم أحداً[2] .

وعن الصادق عليه السلام :

الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله، والله أن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا [3] .

وعن عبد الرحمن بن كثير ، قال :

---

(١) الخصال للصدوق : ٥٢٨ .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب : ص٢٦٣ .

(٣) المصدر نفسه.

قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها ويتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق . إن المغيرة كذب على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان ، وأن قوماً كذبوا عليّ مالهم أذاقهم الله حر الحديد . فو الله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع وإن رحمنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله مالنا على الله من حجة ولامعنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون ...[1] .

وعن الحسن بن الجهم ، قال :

حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له : يا بن رسول الله بأي شيء تصح الإمامة لمدعيها ؟

قال : بالنص والدلائل .

قال له : فدلالة الإمام ما هي ؟

قال : في العلم واستجابة الدعوة .

قال : فما وجه أخباركم بما يكون ؟

قال : ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : فما وجه أخباركم بما في قلوب الناس ؟

قال عليه السلام : أما بلغك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : اتقوا فراسة المؤمن فأنه ينظر بنور الله ؟

قال : بلى .

---

(١) البحار : ٢٥ / ٢٨٩ .

قال : فما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للائمة منا ما فرّقه في جميع المؤمنين وقال عز وجل في كتابه : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ))[1] فأول المتوسمين رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليهم السلام إلى يوم القيامة .

قال : فنظر إليه المأمون فقال له : يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت .

فقال الرضا عليه السلام : إن الله عز وجل قد أيدنا بروح مقدسة ليست بملك لم تكن مع أحد من مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الأئمة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود نور بيننا وبين الله عز وجل .

قال له المأمون :يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد[2] .

---

(١) الحجر : ٧٥ .

(٢) لا يخفي أن التيارات الفكرية المناهضة لآل البيت عليهم السلام تتربص بهم في كل الأحوال، ولغرض بث سمومها وبأسلوب ((بريء)) لتبعد عن نفسها أي تهمة فإنها تنسب مقالات المغالين المفتعلة إلى بعض الناس ، إلا أن الحبكة القصصية المؤلفة من قبل النظام تلقى على السنة العامة انتقاماً من قدر آل البيت عليهم السلام لذا فأنت تلاحظ كلام المأمون قد نسبه إلى قوم ، جاء مباشرة بعد ذكر الإمام عليه السلام لبعض حقائقه القدسية التي ألقيت على نفوسهم الطاهرة المندكة في عبودية الحق تعالى، حتى استحقت بسبب عبوديتها المطلقة لله سبحانه أرقى غايات الاصطفاء وأعظم تجليات التكريم من قبل الحضرة الربوبية، ومن هنا بدأ الإمام عليه السلام وبلهجة شديدة الاستنكار للرد على كل هذه المفتريات الملقاة من قبل النظام لتخترق سمع المأمون الذي هو مصداق لهذه النظرة الجائرة والتحركات الفكرية الطائشة ، ومن هنا حاولنا نقل الخبر بطوله حفاظاً على تسلسل الشاهد لهذا

فقال له الرضا عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً ، قال الله تبارك وتعالى : : ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ))[1].

وقال علي عليه السلام[2] :

يهلك فيَّ اثنان ولا ذنب لي : محب مفرط ومبغض مفرط ، وأنّا لنبرأ إلى الله عز وجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، قال الله عز وجل : ((وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))[3]. وقال عز وجل : ((لَّن يَسْتَنكِفَ

الحديث الشريف وإمعاناً في تقديم دليلٍ وافيٍ في محاربة حقيقة آل البيت القدسية وانتقاصها باتهامها أنها من مقالات الغلاة لعنهم الله تعالى .

(١) آل عمران : ٧٩-٨٠ .

(٢) لا زال الكلام للإمام الرضا عليه السلام.

(٣) المائدة : ١١٦-١١٧ .

الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ..)) [١] . وقال عز وجل : ((مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ...)) [٢] . ومعناه أنهما كانا يتغوطان فمن ادعى للأنبياء ربوبية أو ادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة [٣] .

هذه هي عقائدنا في نفي الغلو عن أئمتنا عليهم السلام ، ومن قال خلاف ذلك فنحن منه براء ومن نسب إلينا خلاف ما نعتقده في أئمتنا بأنهم عباد الله المكرمون فقد بهتنا وافترى علينا ومرده إلى الله مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) النساء : ١٧٢ .

(٢) المائدة : ٧٥ .

(٣) البحار : ٢٥ / ١٣٥ .

كلمة لا بد منها : نعم الشيعة هم الرافضة ...

تعتقد الإمامية بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل وبذلك فهُم شيعة علي عليه السلام كما أن شيعة الرجل بمعنى أتباعه ومواله ، ولم يسلم الشيعة من نبزهم بمسميات ظن مخالفوهم أنها صفة استصغار لحقهم وتهجين لمقامهم فنبزوهم - كما في اعتقادهم بأقبح الألقاب - في حين يعدُّ الشيعة لقب الرافضة تحولاً ايجابياً في هذا المضمار فهم يفتخرون به عند نسبتهم إليه ولعل الروايات الصادرة عن أئمتهم عليهم السلام أكدت هذا المعنى وساهمت في هذا الشعور الذي يعزز من نشوء النصر لديهم .

وفي ذلك أشار أبو جعفر الباقر عليه السلام كما رواه أبو بصير عنه عليه السلام، قال: ليهنئكم الاسم، قلت وما هو جعلت فداك؟ قال: الشيعة. قيل أن الناس يعيروننا بذلك، قال أما تسمع قول الله ((وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ

لَـإِبْرَاهِيمَ)) [١] وقولـه: ((فَاسْـتَغَاثَهُ الَّـذِي مِـن شِـيعَتِهِ عَلَـى الَّـذِي مِنْ عَـدُوِّهِ ...)) [٢] فليهنئكم الاسم [٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: والله لنعم الاسم الذي منحكم الله ما دمتم تأخذون بقولنا ولا تكذبون علينا [٤].

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام، جعلت فداك، اسم سمينا به استحلت به الولاة دماؤنا وأموالنا وعذابنا.

قال: وما هو ؟

قلت: الرافضة.

قال:أبو جعفر عليه السلام إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى أحداً أشد اجتهاداً وأشد حباً لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم وذلك اسم قد نحلكموه الله [٥].

وعن سليمان الديلمي ، قال : دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام ، فقال : يا سماعة من شر الناس ؟ .

قال: نحن يا بن رسول الله ، فغضب حتى احمرت وجنتاه ثم استوى جالساً وكان متكأً.

---

(١) الصافات : ٨٣.

(٢) القصص : ١٥ .

(٣) تفسير القمي. ٢٣٣ دار الكتاب قم / إيران: ١٣٨٧هـ .

(٤) سفينة البحار للشيخ عباس القمي ، باب رفض : ٣ / ٣٨٥ دار الأسوة للطباعة والنشر ١٤١٤هـ .

(٥) المصدر نفسه.

فقال: يا سماعة من شر الناس عند الناس ؟

فقلت: والله ما كذبتك يا بن رسول الله، نحن شر الناس عند الناس، لأنهم سمونا كفاراً ورافضة فنظر إليَّ ثم قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم ويقولون : ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار[1] .

ونحن معاشر الإمامية نقول ما قاله عمار الدهني يوم وقف أمام ابن أبي ليلى القاضي ، حيث قيل للصادق عليه السلام إن عمار الدهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة ، فقال له القاضي: قم يا عمار فقد عرفناك لا تقبل شهادتك ، لأنك رافضي . فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه واستفزعه البكاء .

فقال له ابن أبي ليلى: أنت رجل من أهل العلم والحديث إن كان يسوءك أن يقال لك رافضي فتبرأ من الرفض ، فأنت من إخواننا .

فقال له عمار : يا هذا ما ذهبت والله حيث ذهبت ، ولكن بكيت عليك وعليَّ، أما بكائي على نفسي فإنك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها، زعمت إني رافضي ، إلى أن قال: وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله إن صرفت اشرف الأسماء إليه، وإن جعلته من أرذلها كيف يصبر بدنك على عذاب كلمتك هذه ؟

فقال الصادق عليه السلام: لو أن على عمار من الذنوب ما هو أعظم من السموات والأرضين لمحيت عنه بهذه الكلمات ...[2] .

---

(١)سفينة البحار للشيخ عباس القمي.

(٢) المصدر نفسه.

الدرس الرابع

الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل علي بن أبي طالب عليه السلام

تعتقد الإمامية أن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله هو علي بن أبي طالب عليه السلام للصفات التي خص بها وقد بسطنا القول فيها فليراجع [1] ، وسيأتي ما ينفع المقام لاحقاً.

و الأدلة على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام ، طائفتين :

الأولى :

الآيات الدالة : على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أجمع عليها مفسروا الأمة من كلا الفريقين ، ولا ننسى أن بعضهم وجهها معتذراً بما ينفع رأيه المعارض لإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأبقى عليها آخرون استدلالاً على إمامته عليه السلام ، وقد أورد الحاكم

---

(١) راجع الدرس الثاني في صفات الإمام : ص٧ .

النيسابوري أحاديث عدة في فضله و أنه عليه السلام ما نزل في أحد من القرآن كما نزل فيه صلوات الله عليه و نحن ذاكرون بعض ما رواه الحاكم :

فقد روى عن ابن عباس قال : ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي.

و عن مجاهد: نزلت في علي سبعون آية لم يشركه فيها أحد.

و عن مجاهد أيضا: ما أنزل الله آية في القرآن إلا علي رأسها.

و عن ابن أبي ليلى قال: لقد نزلت في علي ثمانون آية صفوا في كتاب الله ما يشركه فيها أحد من هذه الأمة.

و عن ابن عباس قال : أخذ النبي صلى الله عليه وآله يدي و يد علي بن أبي طالب و خلا بنا على ثبير[1] ثم صلى ركعات ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم إن موسى بن عمران سألك و أنا محمد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري و تيسر لي أمري و تحلل عقدة من لساني ليفقه به قولي و اجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي أشدد به أزري و أشركه في أمري، قال ابن عباس : سمعت منادياً ينادي : يا احمد قد أوتيت ما سألت فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: يا أبا الحسن أرفع يدك إلى السماء فادع ربك وسل يعطك، فرفع علي يده إلى السماء و هو يقول: اللهم اجعل لي عندك عهداً و اجعل لي عندك وداً فأنزل الله على نبيه ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا))[2] فتلاها النبي صلى الله عليه واله على أصحابه فتعجبوا من ذلك تعجباً شديداً فقال النبي صلى الله عليه واله: مم تعجبون إن القرآن أربعة أرباع فربع فينا أهل البيت

---

(١) جبل ضخم من جبال مكة يضرب به المثل عند العرب لكبره .

(٢) مريم : ٩٦ .

خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام وأن الله أنزل في علي كرائم القرآن.

وعن ابن عباس قال: أنزل الله في القرآن آية: (يا أيها الذين أمنوا) إلا فأن علي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم ولم يذكر علياً إلا بخير [١]

وإليك بعض من تلك الآيات ... [٢].

الثانية : قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)) [٣]

نقل الجمهور إنما نزلت في بيان فضل الإمام علي عليه السلام يوم الغدير، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الإمام علي عليه السلام وقال : أيها الناس ألست أولى منكم بأنفسكم قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وادر الحق معه كيف دار .

الثالثة: عن ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه واله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) أن علياً مولى المؤمنين (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [٤]

الثالثة : قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) [٥].

---

(١) شواهد التنزيل للحاكم النيسابوري: ٤٦-٦٣.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي : ١٧٢ وما بعدها .

(٣) المائدة : ٦٧.

(٤) الدر المنثور في التفسير المأثور : ١١٧/٦.

(٥) الأحزاب : ٣٣ .

أجمع المفسرون أنها نزلت في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

وقد أخرج الحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، أخرجها بعشرات الطرق منها ما رواه عن أنس بن مالك وعن البراء بن عازب وعن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن الحسن بن علي وعن سعد بن أبي وقاص وعن أبي سعيد الخدري وعن هارون بن سعد العجلي وعن ابن عباس وعن أبي مليكة وغيرهم وكلهم من رجال الصحاح راجع تفسير الآية في شواهد التنزيل[1]

الرابعة: قوله تعالى: ((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ..))[2].

قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين أوجبت علينا مودتهم ؟

قال: علي وفاطمة والحسن والحسين .

قال الزمخشري بعد ذكره لهذه الرواية: ويدل عليه ما روى عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حسد الناس لي فقال: أما ترضَ أن تكون رابع أربعة : أول من يدخل الجنة أنا وأنت و الحسن و الحسين وأزواجنا عن أيماننا و شمائلنا و ذريتنا خلف أزواجنا، ثم قال الزمخشري: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا و من مات على حب آل محمد مات تائباً ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر و نكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى

---

(١) شواهد التنزيل: ١٨/٢ .

(٢) الأحزاب : ٢٣ .

الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا و من مات على حب آل محمد فتح له في قبر بابان إلى الجنة ألا و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا و من مات على حب آل محمد مات على السنة و الجماعة ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ألا و من مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا و من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة[1] .

الخامسة : آية المباهلة .

أجمع المفسرون على أن أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين وأنفسنا إشارة إلى علي عليه السلام فجعله الله نفس محمد صلى الله عليه وآله و نساؤنا في فاطمة عليها السلام فقط.

السادسة : قوله تعالى : ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[2] .

روى الجمهور عن ابن عباس قال :

سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ فتاب عليه .

السابعة : قوله تعالى : ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي...))[3]

روى الجمهور عن ابن عباس قال :

---

(١) الكشاف للزمخشري : ج ٤ : ص ٢٣٠.

(٢) البقرة : ٣٧.

(٣) البقرة : ١٢٤.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله انتهت الدعوة إليّ و إلى علي لم يسجد أحدنا قط لصنم فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً .

الثامنة : قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا))[1] .

روى الجمهور عن ابن عباس قال :

نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : الود : المحبة في قلوب المؤمنين و قد أورد الحاكم عشرات الطرق في انها نزلت في علي عليه السلام منها عن البراء بن عازب و عن جابر الأنصاري و سعيد بن جبير و الضحاك و غيره [2].

التاسعة : قوله تعالى : ((إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ..))[3].

روى الجمهور عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون .

و قد رواه الحاكم عن سعيد بن جبير و عن ابن عباس و عن ابن برزة الأسلمي[4] .

العاشرة : قوله تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ))[5].

روى الجمهور عن ابن عباس قال:

سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب .

---

(١) مريم : ٩٦.

(٢) شواهد التنزيل : ج١ : ص٤٦٤.

(٣) الرعد : ١٣ .

(٤) شواهد التنزيل : ج١ : ص٣٨١.

(٥) الواقعة : ١٠- ١١.

الثانية [1] :

الأدلة على إمامة علي بن أبي طالب من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وإليك بعضاً منها ...

الحديث الأول :

ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزأين ، فجزء أنا وجزء علي ، وفي رواية أخرى ، ففيّ النبوة وفي علي الخلافة .

الحديث الثاني :

لما أنزل: وأنذر عشيرتك الأقربين .. جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته ثلاثين فأكلوا وشربوا ثلاثاً ، ثم قال لهم : من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة ؟

فقال علي عليه السلام : أنا . فقال : أنت .

الحديث الثالث :

عن سلمان قال يا رسول الله من وصيك ؟

قال : يا سلمان من كان وصي أخي موسى ؟

قال : يوشع بن نون .

قال : فإن وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب .

الحديث الرابع :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

لكل نبي وصي ووارث وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب .

---

(١) أي الطائفة الثانية من الأدلة على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام .

الحديث الخامس :

ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث براءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث إليه علياً فردّه فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله أنزل فيّ شيء ؟ قال : لا ولكن جبرائيل جاءني وقال : لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك .

الحديث السادس :

لما خلف النبي صلى الله عليه وآله علياً في المدينة عند خروجه إلى تبوك، قال :

أما ترضى أن تكون معي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

الحديث السابع :

في حديث المؤاخاة:

أن النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله : آخيت بين أصحابك وتركتني؟

فقال : إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك ، فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعدي إلا كذاب . والذي بعثني بالحق ما اخرتك إلا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي .

الحديث الثامن:

عن النبي صلى الله عليه وآله من عدة طرق :

إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي لا يؤدي عني إلا أنا أو علي .

الحديث التاسع :

عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال :

رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار .

الحديث العاشر :

عن أبي ذر ، قال :

دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا : من أحب أصحابك إليك؟ و إن كان أمر كنا معه وإن كانت نائبة كنا من دونه ؟

قال : هذا علي أقدمكم سلماً وإسلاماً[1] .

فضلاً عن حديث الغدير المتواتر بين الفريقين حتى رواه أكثر من مئة صحابي وتابعي تابعيهم.

هذا من جهة النصوص على إمامته، أما من جهة عصمته، فبعد أن ثبتت إمامته فقد ثبتت عصمته، لأن كل إمام معصوم، والإمام علي عليه السلام ثبتت إمامته بالآيات والروايات فهو معصوم، وهو المطلوب .

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج:

نص أبو محمد بن مردويه في كتاب الكفاية على أن علياً عليه السلام معصوم - وإن لم يكن واجب العصمة ولا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وأن ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة والفرق ظاهر بين قولنا زيد

(١) نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي : ٢١٢ وما بعدها : وإنما أوردنا هذه الأحاديث معتمدين على مصدر واحد ليسهل على القارئ مراجعته.

معصوم ، وقولنا: زيد واجب العصمة لأنه إمام ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً ، فالاعتبار الأول مذهبنا والاعتبار الثاني مذهب الإمامية[1] .

على أن : اعترافهم بعصمته دليل على إمامته ، لأن الملازمة من ضروريات العقل كما أثبتنا ، فلا إمامة بغير عصمة ، كما لا عصمة من دون إمامة ، فالعصمة للإمام لطف اختص به دون أحد ، فضلاً عن كونها لطف على الأمة لمقتضى التبليغ والهداية .

هذا وإن اعترافه بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام دون إمامته لا يضر في استدلالنا على أن عصمته فرع إمامته ، وليس له نفي الإمامة وتثبيت العصمة والأمر مآله إلى العقل والفطرة والوجدان علماً أن نصوص الفريقين أثبتت عصمته فضلاً عن تواترها ، واليك بعضاً من تلك النصوص:

عن بريدة الأسلمي في حديثه أنه قال النبي صلى الله عليه وآله :

قال لي جبرائيل يا محمد إن حفظة علي بن أبي طالب تفتخر على الملائكة أنها لم تكتب على علي خطيئة منذ صحبته.

ومثله عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه وعن فاطمة الزهراء عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وآله مثله .

وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين ؛ مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون[2] .

---

(١) البحار : ٣٨ / ٦٩ .

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٢ : ٣٥ المطبعة العلمية : قم .

هذا فضلاً عن آية التطهير التي نزلت في النبي وآله عليهم السلام بإجماع الأمة ، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

أنا وأهل بيتي قد أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن [1] .

أما كونه أفضل الناس فإن علياً بإجماع الأمة كان أعلم الناس وأشجع الناس، وأزهد الناس و أسخى الناس وأعبدهم وأصلحهم، وأشرفهم خلقاً ، وأقدمهم إيماناً، وأفصحهم لساناً، وأكثرهم حرصاً على إقامة حدود الله تعالى، وأحفظهم للكتاب العزيز ، ولإخباره الغيب، واستجابة دعائه، وظهور المعجزات عنه، واختصاصه بالقرابة والأخوة للنبي صلى الله عليه وآله .. إلى آخره من الفضائل والمكارم .

أما كونه أعلم الناس :

فما روته الإمامية :

١ ـ عن ابن عباس قال :

أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأنه لأعلمهم بالعشر الباقي.

٢ـ عن ابن عباس قال :

علي علّم علماً علمه رسول الله ، ورسول الله علمه الله ، فعلم النبي من علم الله ، وعلم علي من علم النبي وعلمي من علم علي ، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر .

٣ ـ روى ابن أبي البختري من ستة طرق وابن المفضل من عشرة طرق وإبراهيم الثقفي من أربعة عشر طريقاً منهم عدي بن حاتم و الأصبغ بن

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ : ٣٥.

نباته و علقمة بن قيس ويحيى بن أم الطويل وزر بن حبيش وعباية بن ربعي وعباية بن رفاعة وأبو الطفيل :

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار وأشار إلى صدره كيف مُلِيء علماً لو وجدت له طالباً، سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ما زقني به رسول الله صلى الله عليه وآله زقاً، فاسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة، ثم أجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينادى كل كتاب بأن علياً حكم بحكم الله[1] .

وما روته أهل السنة :

١. عن أبي البحتري عن علي قال :

بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني إلى اليمن ويسألوني عن القضاء لا علم لي به ، قال : أدن ، فدنوت فضرب بيده على صدري ثم قال : اللهم ثبت لسانه وأهد قلبه ، فلا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعد .

٢. عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه .

٣. عن عبد الملك بن سليمان قال :

---

(١)مناقب ابن شهرآشوب ٢ : ٣٥.

قلت لعطاء أكان في أصحاب محمد أعلم من علي ؟ قال : لا والله لا أعلمه ، وقال ابن عباس : لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم و أيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر [١] .

كونه أزهد الناس :

١. فيما كتب عليه السلام إلى سهل بن حنيف :

أما علمت أن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ويسد فاقة جوعه بقرصيه و لا يأكل إلا الفلذة في حوليه إلا في سنة أضحية يستشرق الإفطار على أدميه ولقد اثر اليتيمة على سبطيه و لم تقدروا على ذلك فأعينوني بورع و اجتهاد : والله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا ادخرت من أقطارها براً، وما أقتات منها كقوت أتان دبره ولهي في عيني أهون من عصفة ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها[٢].

٢ ـ قال عمر بن عبد العزيز : ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وآله [٣] .

٣. عن سويد بن غفلة رآه وهو يأكل رغيفاً يكسره بركبته ويلقيه في لبن حاذر[٤] يجد ريحه من حموضته فقلت : ويحك يا فضة أما تتقون الله في

---

(١) الأحاديث الثلاث الأخرى عن أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير : ٤٤ / ٢٢ دار إحياء التراث العربي / بيروت .

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب : ٢ / ١٠١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢ / ٩٤ .

(٤) حاذر : الحامض من اللبن .

هـذا الـشيخ فتنتخلـون لـه طعمـاً لمـا أرى فيـه مـن النخـال ، فقـال أميـر المؤمنين عليه السلام : بأبي وأمي من لم ينخل له طعاماً ولم يشبع من خبز البر حتى قبضه الله . (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله) [1]

ما روته أهل السنة :

١ـ روى ابـن الأثيـر مـا رفعـه إلـى عمـار بـن ياسـر يقـول سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب :

يا علي إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينـة أحب إليه منها الزهد في الدنيا فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً ولا تنال الدنيا منك شيئاً ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً فطوبى لمـن أحبـك وصدق فيـك ، وويـل لمـن أبغضك وكذب عليـك ، فأمـا الـذين أحبـوك وصدقوا فيـك فهـم جيرانـك فـي دارك ورفقـاؤك فـي قـصرك ، وأمـا الذين بغضوك وكذبوا عليك فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين[2].

٢ . وعن الجوهري ، قال :

حدثنا المأمون أمير المؤمنين حدثنا الرشيد حدثنا شريك بن عبد الله عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار . ورواه حجاج الأصبهاني وأسود عن شريك فقالا : أربعين ألف دينار [3] .

٣ . عن سفيان يقول :

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ / ٩٨ .

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير : ٤ / ٢٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٣ .

ما بنى علي لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، وإن كان ليؤتى بحبوحته من المدينة في جراب [1] .

وكان أشجع الناس :

روت الإمامية :

١ـ كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف : لو تظاهر العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها .

٢ . إن علياً عليه السلام : حمل على المشركين فما زالوا يبقطون - يعني تعادوا إلى الجبال منهزمين - وكانت قريش إذا رأوه في الحرب تواصت خوفاً منه ، وقد نظر إليه رجل وقد شق العسكر فقال : علمت بأن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي .

٣ . وروى ابن شهرآشوب أنه كانت لعلي عليه السلام ضربتان إذا تطاول قد، وإذا تقاصر قط[2] أو كانت ضرباته أبكاراً إذا اعتلى قد ، وإذا اعترض قط ، وإذا أتى حصناً هد [3] .

ما رواه أهل السنة :

١. روى الطبري ما رفعه إلى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ، قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية (في غزوة أحد)

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير : ٤ / ٢٣ .

(٢) قط : قطع الشيء عرضاً .

(٣) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ / ٨٣ .

أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم ، ففرق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، قال: ثم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي فقال جبريل: يا رسول الله إن هذه للمواساة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه مني وأنا منه ، فقال جبرائيل : وأنا منكما، قال : فسمعوا صوتاً :

لا سيف إلا ذو الفقار   لا فتى إلا علي[1].

٢. وأخرج ابن الأثير عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه في حديث طويل .. إلى أن قال: سمعته(أي النبي صلى الله عليه وآله) يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فتطاولنا لها فقال : ادعوا لي علياً فأتاه و به رمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه[2].

٣ . وأخرج ابن الأثير، أيضاً عن ربعي بن خراش، قال: حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة قال : لما كان يوم الحديبية خرج أناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين فقالوا خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم رفقة في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا فقال : النبي صلى الله عليه وآله : يا معشر

---

(١) تاريخ الطبري : ٢ / ٥١٤ دار سعيدان ، بيروت . لبنان .

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير : ٤ / ٢٦ .

قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الإيمان ... الحديث[١] .

كونه أسخى الناس :

ما روته الإمامية :

١ـ روى المعلى بن خنيس عن الصادق عليه السلام : أنه أتى ظلة بني ساعدة في ليلة قد رشت السماء ومعه جراب فإذا نحن بقوم نيام فجعل يدس الرغيف حتى أتى على آخره . وعن أبي الطفيل : رأيت علياً يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه لوددت إني كنت يتيماً[٢].

وما روته العامة :

روى ابن الأثير في قوله تعالى : ((الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية)) . قال ابن عباس : نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم فانفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً[٣] .

وروى ابن حجر : إن علياً سئل عن السخاء ، فقال : ما كان منه ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم ...[٤] .

وكونه أعبد الناس : قال العلامة الحلي وهو من أكابر علماء الإمامية :

---

(١) أُسد الغابة: ٤ / ٢٦.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ / ٧٥ .

(٣) أُسد الغابة: ٤ / ٢٧ .

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٣١ .

كان أعبد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومنه تعلم الناس صلاة الليل واستفادوا منه ترتيب النوافل والدعوات وكانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده وكان يحافظ على النافلة حتى أنه بسط له بين الصفين نطع ليلة الهرير فصلى عليه السلام النافلة والسهام تقع بين يديه والى جوانبه وكانوا يستخرجون النصول من جسده وقت الصلاة[1].

وقال مجاهد وهو من رواة أهل السنة :

شيعة علي الحلماء العلماء الذبل الشفاه الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة [2] .

وكيف لا وقد روى أبو نعيم الأصفهاني أن امامهم كان أعبد أهل زمانه ومضرب المثل في عبادته حتى شهد له عدوه ، فما رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح ، قال :

دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية ، فقال له : صف لي علياً ، فقال أو تعفيني يا أمير المؤمنين قال : لا أعفيك ، قال : أما إذا لابد فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواصيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة ويقلب كفه ويخاطب نفسه .. إلى أن قال : فاشهد بالله لقد رايته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يميل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا إليّ تغررت ، إليّ تشوقت ،

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق : ٢١٢ .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني : ١ / ٨٦ .

هيهات هيهات ، غري غيري قد بتتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك يسير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله... الحديث [1].

وكونه أحلم الناس

ما رواه الإمامية :

قال ابن شهرآشوب : وأسر مالك الأشتر يوم الجمل مروان بن الحكم فعاتبه عليه السلام وأطلقه ، وقالت عائشة يوم الجمل : ملكت فاسجح ، فجهزها أحسن الجهاز وبعث معها بتسعين امرأة أو سبعين واستأمنت لعبد الله بن الزبير على لسان محمد بن أبي بكر فآمنه وأمن معه سائر الناس .

وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله فقال له : قل استغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرات وخلي سبيله وقال : اذهب حيث شئت وما وجدت في عسكرنا من سلاح وكراع فخذه واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك[2].

وما روته أهل السنة :

قال الطبري : ودخل علي البصرة يوم الإثنين فانتهى إلى المسجد فصلى فيه ثم دخل البصرة فأتاه الناس ثم راح إلى عائشة على بغلته فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة وجد النساء يبكين عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ / ١١٤ .

فلما رآته ، قالت : يا علي يا قاتل الأحبة يا مفرق الجمع أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه ، فلم يرد عليها شيئاً ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة فسلّم عليها وقعد عندها وقال لها : جبهتنا صفية أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم ، فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام فكف بغلته ، وقال : أما لهممت . وأشار إلى الأبواب من الدار . أن أفتح هذا الباب واقتل من فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه . وكان أناس من الجرحى لجأوا إلى عائشة . فأخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم ، فسكتت [1] .

وقال ابن الأثير : وأخذ ابن ملجم . بعد ضربته لأمير المؤمنين عليه السلام . فأدخل على علي فقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا أولى بدمي ، عفو أو قصاص ، وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين [2] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٥٤ .

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير : ٤ / ٣٧ .

وظهور المعجزات علي يديه :

روت الإمامية :

عن ابن حمزة الفقيه رفع الحديث إلى جابر بن عبد الله :

إن النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله يوم خيبر بعد أن دعا له ، فجعل علي يسرع وأصحابه يقولون له : أرفق ، حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه في الأرض ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وعن جويرية بن مسهر ، قال :

لما رجعنا من قتال أصحاب النهروان مررنا ببابل ، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إن هذه أرض معذبة قد عذبت مرتين ، وقد هلك فيها مائة ألف مائتان ، فلا يصلي فيها نبي ولا وصي نبي فمن أراد منكم أن يصلي فليصلِ العصر .

قال جويرية : فقلت والله لأقلدن اليوم ديني وأمانتي علي بن أبي طالب عليه السلام[1] .

قال فسرنا إلى أن غابت الشمس واشتبكت النجوم ودخل وقت العشاء الآخرة ، فلما أن خرجنا من ارض بابل نزل صلوات الله عليه عن البغلة ثم نفض التراب عن حوافرها ، ثم قال لي : يا جويرية ، انفض التراب عن حوافر دابتك . قال : ففعلت ، ثم قال لي : يا جويرية أذن العصر .

قال : فقلت ثكلتك أمك يا جويرية ذهب النهار ، وهذا الليل ، فأذنت للعصر ، فرجعت الشمس فسمعت لها صريراً كصرير البكرة حتى عادت إلى موضعها للعصر بيضاء نقية .

---

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة : ٢٥٧ .

قال : فصلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، ثم قال : أذن للمغرب يا جويرية فأذنت ، فرأيت الشمس راجعة كالفرس الجواد ثم صليت المغرب ، ثم قال : أذن للعشاء الآخرة فأذنت وصلينا العشاء الآخرة ، ثم قلت : وصي محمد ورب الكعبة - ثلاث مرات - لقد ضل وهلك وكفر من خالفك[١] .

و روت أهل السنة :

قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة :

ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجره والوحي ينزل عليه ، وعلي لم يصل العصر ، فما سرى عنه صلى الله عليه وآله وقد غربت الشمس ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت .

ثم قال ابن حجر بعدما أورد حديث رد الشمس حكاية عن سبط ابن الجوزي في كتابه شرح العباب في أوائل كتاب الصلاة ، قال :

وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق ، أنهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أردشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث (حديث رد الشمس) ونمقه بألفاظ وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشدها :

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة :٢٥٣ .

واثـنِ عنانـك إن أردت ثنـاءهم | أنـسيت إذ كـان الوقـوف لأجلـه
إن كان للمـولى وقوفك فليكن | هـذا الوقـوف لخيلـه ولرجلـه

قالوا فإنجاب السحاب عن الشمس وطلعت [1]

وقال فقير عيني إن أسماء روت : أن النبي قال: اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، قالت : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت. رواه الطحاوي والطبراني عن أسماء بنت عميس [2] .

ولإخباره بالغيب :

روت الإمامية :

عن جندب بن عبد الله الأزدي :

لما نزل أمير المؤمنين عليه السلام النهروان فانتهينا إلى عسكر القوم فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن وفيهم أصحاب البرانس فلما أن رأيتهم دخلني من ذلك فتنحيت وقمت أصلي وأنا أقول : اللهم إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فأذن فيه وإن كان ذلك معصية فأرني ذلك فأنا في ذلك إذ أقبل علي فلما حاذاني ، قال : نعوذ بالله يا جندب من الشك ، ثم نزل يصلي : إذ جاءه فارس فقال : يا أمير المؤمنين قد عبر القوم وقطعوا النهر ، فقال عليه السلام : كلا ما عبروا ، فجاء آخر ، فقال : قد

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي : ٢٨ الباب التاسع في مآثر وفضائل علي ، فصل نبذ من كراماته ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) مناقب سيدنا علي فقير عيني : ١٨ مطبعة أعظم حيدرآباد .

عبر القوم ، فقال : كلا ما فعلوا ، قال : والله ما جئت حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال ، فقال عليه السلام: والله ما فعلوا وانه لمصرعهم ومهراق دمائهم .

وفي رواية أخرى :لا يبلغون إلى قصر بوري بنت كسرى ، فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي قال : فأخذ بقفاي ودفعني ، ثم قال : يا أخا الأزد أما تبين لك الأمر ؟ فقلت : أجل يا أمير المؤمنين [1] .

وما روته أهل السنة :

قال: الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي في حديث رفعه إلى عبيده السلماني : أن علياً عليه السلام خطب أهل الكوفة ، فقال : يا أهل الكوفة لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعدكم الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله الذين تقتلونه ، منهم المخدج اليد وهو صاحب الثدية ، فو الله لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة ، فاطلبوه فطلبوه فلم يقدروا عليه ، ثم قال : اطلبوه والله ما كذبت ولا كذبت ، فطلبوه فوجدوه منكباً على وجهه في جدول من تلك الجداول فأخذوا برجله فجروه فأتوا به أمير المؤمنين رضي الله عنه فكبر وحمد الله وخر ساجداً ومن معه من المسلمين [2] .

وأخرج عبد الرزاق عن حجر المرادي ، قال :

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ٢ / ٢٦٨ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٢٦٣ مؤسسة النشر الإسلامي جامعة المدرسين / قم ، ١٤١١هـ . ق.

قال لي علي : كيف بك إذا أمرت أن تلعنني ؟ قلت : أو كائن ذلك ، قال : نعم ، قلت : فكيف أصنع ؟ قال : العني ولا تتبرأ مني ، قال : فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميراً من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن أن ألعن علياً ، فقلت : أن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله فما فطن لها إلا رجل . أي لأنه إنما لعن الأمير ولم يلعن علياً . (قال ابن حجر في آخر هذا الحديث) فهذا من كرامات علي وأخباره الغيب[1] .

ولاستجابة دعائه :

روت الإمامية :

أن علياً اتهم رجلاً يقال له العيزار يرفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحد فقال عليه السلام : أتحلف بالله يا هذا إنك ما فعلت ، قال : نعم وبدر فحلف ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك فما دارت الجمعة حتى أخرج أعمى يقاد [2] .

وما رواه أهل السنة :

قال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة :

ومن كراماته أيضاً أنه حدث بحديث فكذبه رجل ، فقال له : أدعو عليك أن كنت كاذباً ، فقال : ادع ، فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره [3] .

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي : ١٢٨ .

(٢) مناقب ابن شهرآشوب .

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٢٩ .

هذه بعض صفاته الذاتية أما صفاته الخارجية فمنها :

النسب الشريف : الذي لا يساويه أحد في القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان أقرب الناس إليه ، فإن العباس كان عم رسول الله صلى الله عليه وآله من الأب وعلي كان ابن عمه من الأب والأم ومع ذلك كان هاشمياً من الأب والأم لأنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم .

ومنها المصاهرة : فإنه زوج سيدة النساء .

ومنها الأولاد : ولم يحصل لأحد من المسلمين مثل أولاده في الشرف والكمال ، فإن الحسن والحسين إمامان سيدا شباب أهل الجنة إلى غيره من فضائل الحسب والنسب .

أن الأئمة بعد علي بن أبي طالب عليه السلام أحد عشر :

نعتقد بأن الأئمة بعد علي بن أبي طالب عليه السلام أحد عشر ، فقد نص النبي صلى الله عليه وآله بأسمائهم ، فالسابق ينص على اللاحق ، بعهد معهود من رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن رب العزة . وهو كتاب موقوت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا دخل في إرادة الإمام أو اختياره أو رغبته في التعيين ، بل هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

فعن عمرو بن الأشعث ، قال :

سمعت أبا عبد الله عليه السلام ، يقول : أترون هذا الأمر إلينا نضعه حيث شئنا ؟ كلا والله أنه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فرجل حتى ينتهي إلى صاحبه [1] .

---

(١) البحار : ٢٥ / ٢٣ .

وعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام : أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود لرجل مسمى ليس للإمام أن يزويها عمن يكون من بعده [١] .

وعن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول ما مات منا عالم حتى يعلمه الله إلى من يوحي[٢].

وهم تسعة من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام دون غيره ، وليس في عم ولا أخ بل من واحد إلى واحد حتى مهدي هذه الأمة.

والدليل على ذلك قوله تعالى: وجعلها كلمة باقية في عقبه.

فسرها الإمامية عن طريق أئمتهم بأنها الإمامة في الحسين بن علي عليهما السلام.

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ((وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ)). أنها في الحسين عليه السلام ينتقل من ولد إلى ولد ولا ترجع إلى أخ ولا عم [٣] .

وما رووه أهل السنة كذلك عن طرقهم كثير فعن أبي هريرة قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله : ((وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ))، قال : جعل الإمامة في عقب الحسين يخرج من صلبه تسعة من الأئمة منهم مهدي هذه الأمة [٤] .

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي : ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) البحار : ٢٥ / ٢٥٣ .

(٤) المصدر نفسه .

وإذا كان التكليف قائماً فقد احتاج الخلق إلى مبلّغ وهو الإمام ، فإن الأرض لا تخلو من حجة يبين أحكام الله ويبسط العدل ، ويرفع الجور ، ويصدّق من مضى ، ويفسر ما بين يديه من كتاب الله تعالى، وإذا خلا إمام صفته هكذا ، بطل التكليف ، وقبح العقاب وترك الخلق رعاع هائمون ، وهو خلاف الغرض ، فلابد من القول بإمام في كل زمان تصديقاً لقوله تعالى : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ....))[1] وقوله تعالى : ((فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ...)) وقيام الحجة لله على خلقه لا تتم إلا بوجود المبلّغ لأحكام الله وهو إمام مفترضة طاعته، واجبة لزوم متابعته وهو المطلوب .

ولما ثبت بالتواتر أن الأئمة بعد النبي إثنا عشر إماماً باتفاق الفريقين من المسلمين ، ثبت مثله أنهم أهل البيت من النبي صلى الله عليه وآله وهم أولاد الإمام علي عليه السلام قد نص النبي صلى الله عليه وآله على أسمائهم واحداً بعد واحد وذكرهم بألقابهم، فقد ثبتت بذلك عصمتهم، لأن شرط الإمام عصمته، فمن ثبتت عصمته ثبتت إمامته قطعاً للملازمة العقلية، فضلاً عن النقلية وقد ذكرت في بابها فليراجع .

كما أن الكمالات النفسية والخارجية التي تمتع بها أهل البيت عليهم السلام من علم وزهد وحلم وشجاعة وعبادة وظهور المعجزات واستجابة الدعاء ما تسالم عليه أهل السير من فرق المسلمين ومؤرخيهم فضلاً عن رواة حديثهم ، حتى ثبت أنهم أفضل أهل زمانهم ، ولما كان كذلك فقد ثبتت إمامتهم على غيرهم من المفضولين لقبح تقديم الفاضل على المفضول وهو المطلوب .

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

والإمام بعد أمير المؤمنين عليه السلام، ولده الحسن بن علي ثم أخيه الحسين بن علي ومن بعده علي بن الحسين ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا ، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم مهدي هذه الأمة ، صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين.

روت الإمامية بطرق شتى النص على إمامتهم ، فكل إمام بنص سابقه ، وسابقه ينص على لاحقه حتى رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله النص على أسمائهم بطرق عدة حتى التواتر ، و إليك أحدها :

عن الحسين بن عبد الله اليشكري عن أبيه عن عطاء عن الحسين بن علي عليهما السلام ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي : إنّا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أنت يا علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم بعدك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم بعده الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم بعده علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم بعده محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم بعده جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم بعده موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم بعده علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم بعده محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم بعده علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم بعده الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم والحجة بن الحسن أئمة أبرارهم مع الحق والحق معهم [1] .

---

(١) الغيبة للطوسي : ٢٦ ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران .

وما رواه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله مثله .

وكذا ما رواه سليم بن قيس بطريقين عن عبد الله بن جعفر الطيار، يقول :

كنا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمه وأسامة بن زيد فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت له يا معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد علي فابني الحسن بن علي من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين ثم تكملة اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين ، قال عبد الله بن جعفر واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية .

قال سليم :

وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله [1].

وما رواه الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت وفاته لعلي عليه السلام يا أبا الحسن احضر صحيفة ودواة فأملى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) كتاب سليم بن قيس : ص ٨٣٤ .

وآله وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع ، فقال : يا علي أنه سيكون بعدي اثنا عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً فأنت يا علي أول الإثني عشر إماما سماك الله تعالى في سمائه علياً المرتضى وأمير المؤمنين والصديق الأكبر والفاروق الأعظم والمأمون والمهدي فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك، يا علي : أنت وصي على أهل بيتي حيهم وميتهم وعلى نسائي .. إلى أن قال وأنت خليفتي على أمتي من بعدي إذا حضرتك الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح ، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد فذلك اثنا عشر إماماً ... الحديث(١) .

---

(١) الغيبة للطوسي: ٢٦ .

الدرس الخامس

في مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله

تعتقد الإمامية أن المهدي بن الحسن العسكري خلف أبيه بعد وفاته فيكون هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وهو الحجة القائم بالحق يظهر بعد غيبة ألجأه الظالمون إليها ، ليقيم كلمة الله في أرضه بعدما ملئت بالظلم والجور والعدوان .

تسالم عند الفريقين أن الموعود من آل محمد هو التاسع من ولد الحسين ، أبوه الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المسمى بـ (محمد) يظهره الله على أعدائه مقيماً حكمه في أرضه وناشرا عدله في بريته ، لذا تربص به الأعداء وحرصوا على ملاحقته في كل الأحوال والأزمان فضلاً عن إلقاء الشكوك في أصل وجوده عليه السلام تغريراً بالعامة الذين تسالموا على حتمية ظهوره فضلاً عن ولادته .

قالت الإمامية :

دليلنا على أنه الإمام الثاني عشر من أئمتنا عليهم السلام وهو موجود إلى زماننا هذا هو عين دليلنا الذي أثبتنا به أن الأرض لا تخلو من حجة أبداً وأن الله تعالى يجعل حجته في كل زمان فلو خلي زمان من حجة لبطل التكليف على أهل ذلك الزمان ، ولم تكن حجة لله على الخلق ، كيف ولله الحجة البالغة؟ فضلاً عما رواه عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله تعالى :

((إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر ، وعلي الهادي ، أما والله ما ذهبت منها وما زالت فينا إلى الساعة.[1]

وما رواه أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال :

والله ما ترك الله أرضه منذ قبض الله آدم إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده[2].

فضلاً عما رواه أهل الملة من الفريقين بأن نقباء النبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر كنقباء بني إسرائيل فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الملك ، قال :

سمعت جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم اسمعها فقال: أبي أنه قال كلهم من قريش[3].

والمهدي من ولد فاطمة كما تواتر ذلك عند الفريقين ، فقد روى الإمامية بطرقها عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال :

---

(١) غيبة النعماني : ص١١١ مكتبة الصدوق ، طهران .

(٢) المصدر السابق : ص١٣٨ .

(٣) صحيح البخاري باب الأحكام : ٩ / ١٠١ دار الجيل / بيروت .

المهدي رجل من ولد فاطمة وهو رجل آدم.[1]

وكذلك ما رواه أهل السنة بطرقهم المتواترة وإليك أحدها :

ففي سنن ابن ماجه روى عن سعيد بن المسيب قال :

كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : المهدي من ولد فاطمة .[2]

كما أنه من ولد الحسين بن علي عليهما السلام وقد تواترت عن الفريقين كذلك ، فمنها ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن شعبان الجريري قال :

سمعت محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول : والله لا يكون المهدي أبداً إلا من ولد الحسين عليه السلام[3] .

وما رواه أبو سعيد الخدري قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام يا بنية إنا أعطينا أهل البيت سبعاً لم يعطها أحد قبلنا ... إلى أن قال : ومنا والله الذي لا إله إلا هو مهدي هذه الأمة الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال من هذا ثلاثاً[4] .

وهو المولود من الحسن بن علي العسكري كما تواترت عليه الأخبار .

فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال :

الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن علي وهو صاحب الزمان وهو المهدي .[5]

---

(١) البحار : ٥١ / ٤٣ .

(٢) شرح سنن ابن ماجه للإمام السندي باب المهدي : ٢ / ٥١٩ ، دار الجيل بيروت .

(٣) البحار : ٥ / ٤٣ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

وأهل السنة أكدوا على أنه كذلك ، فقد جاء على لسان محدثهم ابن حجر الهيثمي ما نصه :

... وأبو محمد الحسن الخالص ـ يعني العسكري ـ مات بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثماني وعشرين سنة ، ويقال أنه سم أيضاً ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر ... [١]

إذن فالمهدي من ولد فاطمة ومن ذرية الحسين وهو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين .

ولد الإمام سنة مائتين وخمس وخمسين للهجرة في النصف من شهر شعبان يوم الجمعة أو سنة مائتين وست وخمسين على اختلاف الروايات .

فمنها ما رواه الصدوق عن محمد بن يعقوب الكليني قال :

حدثنا علي بن محمد ، قال : ولد الصاحب عليه السلام للنصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين . [٢]

وما رواه معلى بن محمد البصري أنه قال :

... ولد له ولد - أي الحسن العسكري - سماه محمد سنة ست وخمسين ومائتين [٣]

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي : ٢٠٨ .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ١ / ٤٣٠ جامعة مدرسين / قم : ١٤٠٥م .

(٣) المصدر نفسه .

والاختلاف في سنة ولادته عليه السلام إحدى دلائل وجوده فإنه لا يختلف على أمرٍ غير موجود فضلاً عن الأدلة التالية الدالة على ولادته واليك بعضها :

١. روى أبو جعفر العمري ، قال :

لما ولد السيد [1] عليه السلام ، قال أبو محمد عليه السلام ابعثوا إلى أبي عمرو فبعث إليه فقال له: اشتر عشرة آلاف رطل من خبز وعشرة آلاف رطل لحم وفرقه - أحسبه قال: على بني هاشم - وعق عنه بكذا وكذا شاة[2].

٢. عن محمد بن أحمد العلوي عن أبي غانم الخادم قال :

ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً فعرضه على أصحابه يوم الثالث ، وقال : هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمد إليه الأعناق بالانتظار ، فإذا ملئت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً[3] .

٣ ـ عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال :

لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام إلى جدي أحمد بن إسحاق كتاب فإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه وفيه : ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً ، فإنا لم نظهر

---

(١) المقصود منه الأمام المهدي عليه السلام حيث التجأ الشيعة إلى التعبير عنه بالمصطلحات المشيرة إليه تقية من أعدائه .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ١ /٤٣٠ .

(٣) المصدر نفسه .

عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به والسلام[1] .

هذا ما استدل به الإمامية على ولادة إمامهم - وقد تركنا باقي الأدلة تطلب من مظانها - وأهل السنة اتفقوا مع الإمامية على حتمية ظهوره ، إلا أنهم توقفوا في تشخيصه بالرغم من ذكر العديد من علمائهم[2] ، أنه المولود من الحسن العسكري المسمى بـ (محمد) ، ولعل ذلك راجع إلى ما أرتكز في أذهان البعض من المحاولات الفكرية التي قام بها رجال السلطات السياسية المتعاقبة على الأمة الإسلامية التي حشدت جهودها في إرباك مسلمات ما ارتكز في أذهان إتباعها وفرضت عليهم النظرة التشكيكية في التعامل مع حقيقة الظهور فضلاً عن وجود الإمام .

إن أهم ما تمسكوا به هؤلاء من حجة هو عدم إمكانية بقائه هذا العمر المديد والزمن المتطاول، كما أنهم أثاروا الشكوك في مصداقية بقائه بالتشكيك في سبب غيبته لو أمكن بقائه ، لذ فقد أجاب العلامة الطبرسي في إعلام الورى عن سبب غيبته بقوله عند تاريخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما نصه :

أن علته التي مات فيها كانت في أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين : إلى أن قال وتوفي يوم الجمعة لثمان خلون من هذا الشهر وخلّف ولده الحجة القائم المنتظر لدولة الحق وكان أخفى مولده لشدة طلب سلطان الوقت له واجتهاده في البحث عن أمره ، فلم يره إلا الخواص من

---

(١) المصدر السابق .

(٢) راجع في ذلك الشجرة المباركة في أنساب الطالبية للفخر الرازي : ٧٨ ، وسبائك الذهب للسويدي : ص٩ .

شيعته على ما نذكره ، وتولى أخوه جعفر أخذ تركته وسعى إلى السلطان في أخذ جواري أبي محمد وشنّع على الشيعة في انتظارهم ولده وقطعهم بوجوده واعتقادهم لإمامته وجرى بسبب ذلك على مخلفة أبي محمد وشيعته كل بلاء من حبس واعتقال وشدة ، واجتهد جعفر في القيام مقامه فلم يقبله أحدٌ من الطائفة بل تبرؤوا منه ولقبوه الكذاب [1].

إن مبررات الغيبة تتضح لدى المرء كلما أمعن النظر في آيات الكتاب المجيد وأحاديث نبينا الكريمﷺ- كما سيأتي بيانه لاحقاً - فضلاً عن الأدلة العقلية المنتقاة من واقعنا العملي ، فالإمام لوحق من قبل سلطات النظام لإلقاء القبض عليه حتى أن مفارز الحرس تداهم بيته في كل مرة تحسباً من وجوده هناك والقي القبض بالفعل على أهل بيته وصودرت جميع أموالهم وممتلكاتهم وانهزم بعض الغلمان والجواري لملاحقتهم من قبل السلطان، فما ظنك بالإمام نفسه بعد ذلك، أليس تغييب شخصه هو الإجراء العقلائي أو العملية الاحترازية بالقوة والقتل والتنكيل؟، فما بالك بالإمام وقد تواترت أحاديثه لدى الفريقين؟، يقرأها الحاكم والرعية، بأنه من ولد فاطمة ، المولود من صلب الحسين عليه السلام، ابن الحسن العسكري، القائم بالسيف المقيم لدولة الحق ، الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، فهل تنتظر من هذه الأنظمة وقد علمت بوجود مثل هذه المعارضة التي تأطرت بفلسفة القضاء على أي نظام منحرف جائر أن تغض الطرف عن ذلك دونما اتخاذ أي إجراء للتنكيل بمن آمن بهذه الفكرة فضلاً عن صاحبها والقائم بها ؟

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي : ٣٦٠ مطبعة حيدري ، طهران : ١٣٣٨ .

إذن ليس غريباً في واقعنا العملي السياسي من أن الدول طالما تتابع معارضيها بالتنكيل والقتل ، وليس على معارضيها إلا الإختفاء أو التحصن واللجوء في أماكن أخر بعيدة عن يد أنظمتها المعارضة سواء كان اللجوء إلى دولة معارضة لتلك الدولة أو الاختفاء والتربص بالنظام وتحين الفرص لاستكمال قوته و إيجاد مقومات الانقضاض عليه ، أما التاريخ فيحدثنا الكثير عن غيبة المعارضين لانظمتهم القائمة سواء على مستوى الأنبياء المصلحين ، أو على مستوى الثوار الناقمين ، وليس التاريخ وحده يشهد ، بل القرآن وهو حجة الحجج يحدثنا عن غيبة الأنبياء والمرسلين واليك طرفاً من غيبتهم :

١ ـ غيبة نبينا محمد صلى الله عليه وآله : غاب عن قومه في شعب أبي طالب بعد مقاطعة قريش له ، فاعتزلهم هو ومن آمن معه مدة من الزمن واختفى في ذلك الشعب وابتعد عن كيد قريش وما بيتت له من القتل هو وأصحابه ، وكان اعتزاله من قبل في غار حراء يتعبد الله تعالى بعيداً عن عيون الناس لعدم الفتهم عبادته هذه وقد عكفوا على عبادة الأصنام من قبل فرأى من الحكمة الابتعاد عنهم صوناً لنفسه الشريفة من الهلاك ، وغيبة المهدي عليه السلام لا تخلو من هذه الغايات فضلاً عن التخطيط الغيبي الذي يضمن سلامة المهمة وحفظها إلى وقتها المبارك .

٢ـ غيبة موسى عليه السلام : تكفّل القرآن الكريم بياناً وافياً لقصة موسى ، وكيف اجتمع القوم على قتله ونصح مؤمن آل فرعون له بالخروج لخطورة الموقف ، وبالفعل عاجل موسى قومه بالخروج والاختفاء وقد امتدحه الله على ذلك حيث فوّت الفرصة على آل فرعون ولم يمهلهم لتنفيذ مخططاتهم التصفوية لرسالة موسى وذلك بقتله وملاحقة من آمن به ، لذا وصفه الله تعالى بالتوكل والاطمئنان وقد اتخذ الإجراء اللازم

لحفظ رسالته من الضياع والعمل جاهداً على استمرارية تبليغ رسالة ربه ، قال تعالى : ((وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))[1] .

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام في تفسير الآيات

... وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه ستمائة سنة وهو الذي قال الله فيه ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...)) وبلغ فرعون خبر قتل الرجل فطلبه ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى ((إن الملأ يأتمرون بك ...))[2] فخرج منها كما حكى الله ((خائفاً يترقب)) قال يلتفت عن يمنة ويسرة ويقول : ((ربي نجني من القوم الظالمين)) .

وإذا كان موسى قد خاف قومه حتى غاب عن أعينهم لقتله رجلاً من آل فرعون ، فكيف بمن كانت أطروحته القضاء على الظالمين ، أليس حقيقاً عليه أن يغيب عن أعين الناس حتى يأذن الله له بالنصر والفتح المبين ؟ .

٣ـ غيبة يوسف عليه السلام : تحدث القرآن عن ذلك تفصيلاً فذكر ما فعله إخوة يوسف بأخيهم وكيف أنجاه الله من البئر واستقر عند عزيز مصر وغاب عن قومه وإخوته مع علمه بقربهم له حتى كان ما بينه وبينهم مسيرة ثمانية عشر يوماً وهو عالم بذلك ، إلا أن المصلحة اقتضت غيبته لعلة لا يعلمها إلا الله تعالى لكن أهمها كانت الحفاظ على حياته وهو حجة الله

---

(١) القصص : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) تفسير القمي : ٢ / ١٣٧ .

على خلقه بعد أبيه في ذلك الزمان ، لذا قارن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بين غيبة يوسف وغيبة المهدي وتساءل عن الفرق بين الغيبتين ، فإذا صحت غيبة ولي الله يوسف فقد كانت غيبة المهدي مثلها ، فقال : إن في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف ، فقلت فكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة ، فقال : ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير ذلك ؟

إن أخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباطا أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه و تاجروه وكانوا أخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتى عرفهم نفسه وقال لهم : أنا يوسف حينئذ فما تنكر هذه الأمة المتحيرة أن يكون الله عز وجل يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجته لقد كان يوسف إليه ملك مصر وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو اراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك ، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له أخوته : إنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف[1].

٤ـ غيبة يونس عليه السلام : غاب عن قومه بعدما آذوه وسخروا منه واستخفوا بدعوته وتطاولوا عليه فغاب عن أعينهم ، وقد نقل لنا القرآن مكثه في بطن الحوت حتى أذن الله برجوعه إلى قومه وقد رأوا الآيات والنُذر ، فاعتذروا إليه وآمنوا به .

---

(١) غيبة النعماني : ص١٦٤ .

٥ـ غيبة أصحاب الكهف : قال تعالى : ((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا))[١] .

قال الصادق عليه السلام : أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبار عات وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام فمن لم يجبه قتله وكان هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عز وجل ، ووكل الملك في باب المدينة وكلاء ولم يدع أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام ، فخرج هؤلاء بحيلة الصيد وذلك أنهم مروا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم ... الحديث[٢] .

والذي نريد قوله أن المصلحين أنبياء أم غيرهم إذا تجاهروا بدعوة الحق وترك عبادة من دون الله كان الظالمون لهم بالمرصاد وليس أمامهم خيار سوى التغييب إذا لم يجدوا مستلزمات الإصلاح قد توفرت لديهم بعد، وهي مسألة طبيعية تقتضيها مستلزمات السلامة لدى كل العقلاء الذين يواجهون الاستخفاف بدعوتهم وتسفيه آراءهم فضلاً عن خطر الموت الذي اختاره لهم أعدائهم كحلٍ وحيد للخروج من أزمة المعارضة الفكرية الخانقة ، وغيبة إمامنا المهدي عليه السلام من هذا القبيل ، فهي ليست شيئاً فريداً لم يحدث من قبل بل له سابقة الرساليين وسبيل المصلحين وديدن الداعين إلى الله ونبذ عبادة من هو دونه .

---

(١) الكهف : ٨ ، ١٠ .

(٢) تفسير القمي : ٢ / ٣٢ .

إشكالية طول العمر :

لم تكن إشكالية طول العمر التي أثارها البعض بتامة كاملة ، حيث أثيرت في حيال قضية الإمام المهدي شبهة عدم إمكانية بقاء الإمام إلى هذا العمر غير الطبيعي وهي خلاف العادة، إذ العادة تقتضي أن يعيش الإنسان إلى ما دون هذا العمر بكثير، وقد أجابهم الإمامية بما ألزموا به أنفسهم من كتاب الله وآياته، فقد تحدث القرآن عن إمكانية بقاء الإنسان إلى غير العمر المتعارف وذلك لحكمة اقتضت ذلك أو بيان إمكانية بقاء الإنسان الطبيعي إلى عمر متطاول مديد إذا ما هو التزم بمنهج حياتي صحي مبرمج ، وليكن الإمام المهدي عليه السلام هو لإحدى اثنتين أو لكليهما فأما بقائه لحكمة إلهية ومصلحة ربانية ، وأما قد استطاع أن يبرمج حياته على أساس ما توفر لديه من معلومات صحية قيمة قد ورثها من آبائه الطاهرين عن جدهم عن الله تعالى ، أو هما معاً ، والأول اقرب بمقتضيات مهمته عليه السلام بل لا يبعد الجمع وإليك طرفاً ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم وقد عمّروا إلى ما شاء الله أن يأذن لهم بالبقاء والحياة :

١. نوح عليه السلام ، فقد لبث في قومه تسعمائة سنة وخمسين يدعوهم الى الله تعالى ، ولا نعلم كم كان له من العمر قبل بعثته ، وكم عاش بعد الطوفان ، والى ذلك أشار الله في كتابه بقوله : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ))[1] .

٢ـ يونس عليه السلام : في إشارة إلى إمكان بقاء الإنسان حتى يوم يبعثون ، حكى القرآن الكريم عن يونس ما جرى له من قومه وكيف خرج

---

(١) العنكبوت : ١٤ .

عنهم بعد تكذيبهم إياه ، فالتقمه الحوت عند رحلته بعد ذلك وقضى في بطنه وطراً حتى أذن الله له بالخروج ، فأشار القرآن إلى إمكانية بقائه في بطنه إلى يوم يبعثون لولا أن يكون من المسبحين ، ومنه يستفاد من أن الحكمة الإلهية عندما تقتضي بقاء الإنسان فضلاً عن الحيوان إلى وقت مديد وتطاول العمر إلى ما شاء الله أن يبقى لأمكن ذلك وما ذلك على الله بعزيز ، لذا جاء قوله تعالى إشارة إلى عدم استحالة هذا الأمر فضلاً عن أمور أخرى كانت مورد الآية ، فقال تعالى: ((فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ))[1] .

٣ ـ أهل الكهف : قال تعالى : ((لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً)) ولا نعلم كم كانوا من العمر قبل دخولهم الكهف ، فكانت إرادة الله تعالى في بقاء أصحاب الكهف إلى هذه الفترة الزمنية غير الطبيعية إشعارا بإمكانية البقاء إلى هذا الحد أو أكثر منه إذا اقتضت المصلحة ذلك .

٤ـ الذي مر على قرية : قوله تعالى : ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ..))[2] .

فقد شاء الله أن يضرب مثلاً لمن اعترض وتساءل عن كيفية إحياء الموتى وكيف يكون ذلك فأماته الله مائة عام ثم أحياه فهي كما أنها دلالة

---

(١) الصافات : ١٤٤ .

(٢) البقرة : ٢٥٩ .

على قدرة الله تعالى في إحيائه الموتى كذلك هي دلالة على قدرته في إبقاء الإنسان إلى ما شاء الله أن يعيش دون أي محذور عقلي أو طبيعي .

٥- عيسى بن مريم : كانت لغيبة عيسى بن مريم مكسباً فكرياً على الصعيدين المسيحي والإسلامي ، أما على صعيد المسيحية السماوية فقد تراجع كثير ممن التزم المبتنيات اليهودية في عدائه لرسالة عيسى وقد انكشف لهم بعد غيبته أن التحركات اليهودية كانت ظاهرة طائشة لصد مسار أي رسالة سماوية ومهمة إصلاحية ، وعلموا أن عيسى لم يقتله اليهود بل اجتباه الله تعالى إلى ملكوت سماواته وظهر لديهم فيما بعد أن اليهودية تحاول حرف أي جهد إصلاحي واحتوائه لصالح نواياها المبتذلة .

أما على الصعيد الإسلامي فقد مثلت غيبة عيسى - وقد تحدث عنها القرآن الكريم - تقدماً رائعاً في تطوير الذهنية الإسلامية في مجال الفكرة المهدوية وما تعلق بها من شؤون الغيبة والظهور .

فقد روى المسلمون في صحاحهم من الفريقين بحتمية نزول عيسى بعد غيبته تزامناً مع ظهور المهدي عليه السلام وسيكون مناصراً ومؤيداً للإمام بعد أن يصلي خلفه وذلك دلالة على انضمام عيسى تحت لواء الإمام وتمهيداً لمهمته الإلهية الكبرى.

كانت غيبة عيسى و إدخاره لليوم الموعود تمهيداً قرآنياً لتقريب معنى الغيبة والظهور لدى المسلمين ، وكانت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله تنبيهاً مهماً إلى استعداد عيسى لهذه المهمة ونزوله المؤيد لظهور الإمام حتى رووا في صحاحهم ما يفيد ذلك :

فقد روى أبو سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه ، رواه أبو نعيم في أخبار المهدي[١] .

وعن حذيفة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليهما السلام كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي له تقدم صلِّ بالناس فيقول : إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي[٢]. إلى غير ذلك من الروايات .

إلا أن الذي يبعث على الأسف حقاً هو تكلف البعض في تفسير بعض الأحاديث ومحاولة الجمع بينها تبرعاً والسير في ركاب الحملة التثقيفية المستهدفة إلى إرباك الرؤية القرآنية للغيبة والظهور ، ومحاولة زعزعة أهم برنامج إصلاحي احتفظ به المسلمون وكان أعز ما تلقوه من تراثهم النبوي في مجال الإصلاح والتغيير وتربية النفس المؤمنة وتكامل المجتمع الإسلامي الرشيد [٣] .

كانت حملة التصدي من قبل البعض للترتيبة النبوية في مجال مشروع الظهور هو استكمالاً للجهد الإعلامي اليهودي الذي أعلن أن اليهود قتلوا عيسى ابن مريم وبذلك سيتم الحصول على تراجع كبير من قبل

---

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للسيد محمد صديق حسن : ٥٦٤ مطبعة المدني القاهرة .

(٢) المصدر السابق : ٥٧٢ .

(٣) راجع المقال المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث السنة الأولى شباط ١٩٦٩م . ذو القعدة ١٣٨٨هـ ، تحت عنوان : عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر للشيخ عبد المحسن العباد، فقد أكد من خلال مقاله على ضرورة الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام و ان إنكاره كفر كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله، قوله: ((من انكر المهدي فقد كفر)).

أنصار عيسى وانخراطهم في اليهودية ((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا))[1] .

فكان هذا التمويه اليهودي كتخرصات من شكك في وجود المهدي وعدم إمكانية بقائه زمناً متطاولاً متمادياً .

هذا ما يمكن قراءته في كتاب الله من التأييد على إمكانية العيش إلى ما فوق العمر الطبيعي ، ويمكن استقراء بعض الشواهد التاريخية لتقدم أدلة أخرى على إمكانية بقاء الإنسان إلى العمر غير الطبيعي واليك بعضها :

١. الخضر عليه السلام : تواتر خبره عند الفريقين وهو صاحب القصة التي تحدث عنها القرآن الكريم حين لقائه بموسى في قوله تعالى: ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا))[2] حيث عاش في زمان موسى وتحدث عنه القرآن الكريم ولا نعلم كم كان قبل ذلك ، علماً أنه عبدٌ صالح لم يكن نبياً ، ولعله آية تؤيد حتمية وجود المهدي الذي سيظهر كلمة الله في أرضه وإلا ما الذي يستفاد من حكمة وجوده إلى الآن ؟ وهو ما استدل به إمامنا الصادق عليه السلام بقوله في حديث طويل : وأما العبد الصالح الخضر عليه السلام فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوة قدرها له ولا كتاب ينزله عليه ولا شريعة ينسخ بها شريعة من كان قبلها من الأنبياء ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها ولا لطاعة يفرضها له بل أن الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر وعلم ما يكون من إنكار

---

(١) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) الكهف : ٦٥ .

عباده بمقدار ذلك العمر في الطول ، طوّل عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك إلا لعلة الاستدلال على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة[1] .

٢. لقمان بن عاد : عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ويقال أنه عاش عمر سبعة أنسر وكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل فيعيش النسر ما عاش فإذا مات أخذ آخر فرباه ... قال الأعشى فيه :

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر   إذا ما مضى نسر خلدت إلى نسر

فعمّر حتى خال أن نسوره   خلود وهل يبقى النفوس على الدهر

٣ـ ربيع بن طبع بن وهب : عاش ثلاثمائة وأربعين سنة فأدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يسلم وروي أنه عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان وخبره معروف ، فإنه قال فصل لي عمرك ، قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة سنة في الجاهلية وستين في الإسلام .

٤ـ المستوغر بن ربيعة بن كعب : عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة حتى قال :

ولقد سئمت من الحياة   وعمرت من بعد السنين سنينا

مائة أتت من بعدها مائتان لي   وعمرت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي الا كما قد فاتنا   يوم يكر وليلة تحدونا

٥. أكثم بن صيفي الأسدي : عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان ممن أدرك النبي صلى الله عليه وآله وآمن به ومات قبل أن يلقاه وله أخبار كثيرة وحكم وأمثال وهو القائل :

---

(١) البحار : ج٥١ص٢٢٢ .

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة ... إلى مائة لم يسأم العيش جاهل

خلت مائتان غير ست وأربع ... وذلك من عد الليالي قلائل

٦. ضميرة بن سعيد بن سهم بن عمرو : عاش مائتي سنة وعشرين ولم يشب قط وأدرك الإسلام ولم يسلم .. ورثاه ابن عمه قيس بن عدي ، فقال :

من يأمن الحدثان بعد ... ضميرة السهمي ماتا

سبقت منيته المشيب ... وكان ميتته افتلاتا

فتزودوا لا تهلكوا ... من دون أهلكم خفاتا

٧. عمرو بن حمه الدوسي عاش أربعمائة سنة وهو الذي يقول :

كبرت وطال العمر حتى كأنني ... سليم أفاع ليلة غير مودع

فما الموت أفناني ولكن تتابعت ... عليّ سنون من مصيف ومربع

ثلاث مئات قد مررن كواملاً ... وها أنا هذا ارتجي منه أربع

٨ـ الدجال : قال الشيخ الطوسي في الغيبة ما نصه : وروي أصحاب الحديث أن الدجال موجود وأنه كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله ، وأنه باق إلى الوقت الذي يخرج فيه وهو عدو الله فإذا جاز في عدو الله لضرب من المصلحة فكيف لا يجوز مثله في ولي الله

إن هذا من العناد.(١)

وخلاصة القول ما تضمنه الخبر الشريف عن مولانا الباقر عليه السلام فيما أورده محمد بن مسلم ، قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام وأنا

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي : ص٧٩ . راجع البخاري فقد ذكر عن الدجال من الأحاديث الصحاح في باب الفتن ٤ / ٢٣٢ دار المعرفة بيروت ومثله ابن ماجه في سننه : ٢ / ٥٠٦ من شرح الإمام السندي ومثله مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي فراجع .

أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله فقال لي مبتدئاً : يا محمد بن مسلم أنّ في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله شبهاً من خمسة من الرسل : يونس بن متي ويوسف بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، فأما شبهه من يونس فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن ، وأما شبهه من يوسف بن يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته ، وأما شبهه من موسى فدوام خوفه وطول غيبته وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده بما لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيده على عدوه ، وأما شبهه من عيسى فاختلاف من أختلف فيه حتى قالت طائفة منهم ما ولد وقالت طائفة مات وقالت طائفة قتل وصلب ، وأما شبهه من جده المصطفى صلى الله عليه وآله فخروجه بالسيف وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله والجبارين والطواغيت وأنه ينصر بالسيف والرعب وأنه لا ترد له راية وأن من علامات خروجه خروج السفياني من الشام وخروج اليماني وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي باسمه واسم أبيه .[١]

و أشكل على الإمامية بقولهم :

عن إنكارنا للغيبة هو عدم معرفتنا للوجه الصحيح الموافق للحكمة من غيبة الإمام ، فإذا نفينا عدم وجود وجه الحكمة من غيبة الإمام ، أمكننا نفي وجوده رأساً .

---

(١) البحار : ٥١ / ٢١٧ .

قالت الإمامية :

وهل أحد يدعي العلم بجميع الأسباب والأغراض من حكمة أي تشريع وهذا كمن أنكر وجود الآيات المتشابهة لعدم إدراكه الحكمة من وجودها بل هو أولى بإنكار العبادات كالطواف وعدد الفرائض اليومية ورمي الأحجار في الحج . إذن فعدم معرفة وجه الحكمة من الغيبة لا يستلزم نفي الغَيبة وعدم وقوعها ، نعم عدا ما ورد عن بعض وجه الحكمة التي أخفيت علينا عن طريق الأئمة الأطهار فضلاً عن الأدلة العقلية التي توقف المتحير في سبب معرفة حكمة الغيبة إذا ما رفض رأساً التسليم لحكمة الله البالغة الذي لا يفعل القبيح أبداً .

وتساءلوا عن سبب غيبة الإمام :

قالت الإمامية : إخافة الظالمين له عليه السلام وقبضهم يده عن التصرف فيما جعل له التصرف والتدبير له لأن الإمام إنما ينتفع به إذا كان ممكناً مطاعاً فخلى بينه وبين أغراضه ليقوم الجناة ويحارب البغاة ويقيم الحدود ويسدّ الثغور وينصف المظلوم من الظالم وكل هذا لا يتم إلا مع التمكين فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة فإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره ، والتحرز من المضار واجب عقلاً وسمعاً ، وقد استتر النبي صلى الله عليه وآله في الشعب مرة وأخرى في الغار ولا وجه لذلك إلا الخوف من المضار الواصلة إليه .

هذا ما أورده السيد المرتضى[1] من الدليل العقلي، أما ما رواه زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في سبب الغيبة قال : سمعت أبا جعفر الباقر

---

(١) المقنع في الغيبة للسيد المرتضى : ٥٢ تحقيق محمد علي الحكيم مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

عليه السلام ، يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم وهو المطلوب تراثه ، قلت : ولمَ ذلك ، قال : يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه - يعني القتل [1].

وعنه عليه السلام ، قال : صاحب هذا الأمر هو الطريد الشريد الموتور بأبيه المكنى بعمه المفرد من أهله ، اسمه اسم نبي . [2]

فإن قالوا :

إن كان الخوف أحوجه إلى الاستتار فقد كان آباؤه عندكم في تقية وخوف من أعدائهم فكيف لم يستتروا ؟

قالت الإمامية : ما كان على آبائه عليهم السلام خوف من أعدائهم مع لزوم التقية والعدول عن التظاهر بالإمامة ونفيها عن نفوسهم . وإمام الزمان كل الخوف عليه لأنه يظهر بالسيف ويدعو إلى نفسه ويجاهد من خالف عليه ، فأي شبه بين خوفه من الأعداء وخوف آبائه عليهم السلام منهم لولا قلة التأمل ؟ [3]

فإن قالوا : فما الحكمة إذن من غيبته ، وما الفائدة من وجوده وهو مغيب عن الناس ؟

قالت الإمامية : إن الحكمة من غيبته كالحكمة من غيبة باقي الأنبياء وليس كل ما يجهل يجب معرفة وجه الحكمة منه ، فإن كثيراً من العبادات لم تظهر فيها وجه الحكمة كما قلنا فلا داعي للسؤال عنها ومعرفة الغرض منها فالمكلف كلف بإعداد اليومية وإيتاء الزكاة بالذي خصصه الشرع وأمره بكيفية الطواف والهرولة أو الصوم إلى الليل إلى غير ذلك من

---

(١) غيبة النعماني : ١٧٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المقنع في الغيبة للسيد المرتضى : ٥٤ .

العبادات التي خفيت عليه وجه الحكمة فيها ، فلا يجب عليه السؤال بـ (لِمَ صارت هذه العبادة بتلك الصورة ولم تكن بصورة أخرى ؟) بل لا يحق له ذلك من باب التسليم لأمر الله تعالى والتعبد بما ورد عنه فإنه لن يفعل القبيح ، كذا في غيبة إمامنا ، فإن الحكمة ستظهر بعد أن يأذن الله تعالى له بالظهور وستعلم الأمة فائدة غيبته بعد ذلك كما علم موسى وجه الحكمة من قتل الخضر للغلام وخرق السفينة وتشييد الجدار بعد أن أرادا الافتراق فظهر لموسى وجه الحكمة من ذلك.

هذا ما أوضحه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لمن سأله عن وجه الحكمة من الغيبة، فعن عبد الله ابن الفضل الهاشمي، قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ، يقول : إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل . فقلت له : ولم جعلت فداك ؟

قال : لأمر لم يؤذن في كشفه لكم .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟ فقال : وجه الحكمة في غيبته ، وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما .

يا ابن الفضل إن هذا الأمر ، أمر من الله وسر من إسرار الله وغيب من غيب الله ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا .[1]

---

(١) البحار : ٥٢ / ٩١ : ٩٢ .

وفي التوقيع الصادر إلى إسحاق بن يعقوب عن الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان ... ((وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل ، يقول : ((يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)) . أنه لم يكن أحدٌ من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي ، وأما وجه الإنتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الإبصار السحاب ، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم ولا تتكلفوا على ما قد كفيتم وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى)).[1]

موجز في غيبة الإمام عليه السلام :

استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وقد خلف ولده المهدي عليه السلام وله من العمر خمس أو ست سنوات ، فورث من أبيه مهمة المواجهة الفكرية مع النظام بما يضمن الإبقاء على شيعته ، دون تعرضهم لأدنى خطر حاضر محسوب ، أو مستقبلي مرتقب .

اختزل الإمام عليه السلام معارضته الفكرية في تحرك حذر مخطط ، ووفق برنامج فاق تصورات السلطة ، واخترق المستقبل ، حتى عجزت أرقى التنظيمات السرية الحديثة دقة ونظاماً من أن تصل إلى ما وصلت إليه ، لذا يمكن تقسيم غيبته المباركة إلى قسمين وفقاً لحيثيات الاتصال تأتي ضمن بحوث المقام :

---

(١) المصدر السابق .

١ـ الغيبة الصغرى :

لم ينقطع الإمام في هذه الغيبة عن شيعته ، بل عمل برنامجاً خاصاً للاتصال به وبين قواعده كان دقيقاً ورائعاً جداً.

كان نظام السفارة الذي أوجده الإمام عليه السلام قد أثبت فعاليته الدقيقة، وصلاحيته لتفادي أي إجراء انتقامي تفكر به السلطة للبطش بالإمام وشيعته، فقد تولى أربعة سفراء مهمة الاتصال بالإمام على التوالي، وأحسنوا دقة التعامل ، و أداء المهمة بجدارة فائقة ، مما إربك خطط السلطة الجائرة ، ومصادرة كل أنشطتها ((الأمنية)) وحاولت الأجهزة الأمنية أن تتخبط في الوصول إلى مكانه دون جدوى ، وكانت تعليمات الإمام وأوامره تعاجل أي عمل تفكر به السلطة للإقدام عليه ، وشاركت القواعد الشيعية كذلك في إنجاح تطبيق هذا النظام ، بالتكتم الشديد والتحرك الحذر حرصاً منها على إبقاء الإمام في مأمن ، ودون أن تفكر السلطة باتخاذ أي إجراء انتقامي ضد شيعته ذات القواعد العريضة .

هذا وقد تعاقب أربعة سفراء لمهمة السفارة ، وهم من أعاظم علماء الإمامية ذوي المواصفات الخاصة التي لا يعلم بخصائصها سوى الإمام الذي أعلن تعيينهم كالآتي :

السفير الأول : عثمان بن سعيد العمري ، أبو عمرو الأسدي : فقد نص على سفارته الإمام العسكري في مجلسٍ من خاصة شيعته ومواليه بعد أن عرض ولده المهدي عليه السلام عليهم فقال :

فأقبلوا من عثمان ما يقوله ، وانتهوا إلى أمره ، أو اقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه .[1]

السفير الثاني : محمد بن عثمان بن سعيد العمري : وقد نص الإمام الحسن العسكري على تعيينه في حياته بقوله :

واشهدوا عليَّ إن عثمان بن سعيد وكيلي ، وأن ابنه محمد وكيل ابني مهديكم ...[2]

السفير الثالث : أبو القاسم الحسين بن روح :

نص عليه السفير الثاني محمد بن عثمان بن سعيد عندما سأله جمع من وجوه الشيعة والأكابر عمن سيخلفه مكانه ، فقال : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النويختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل والثقة الأمين فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت ، وقد بلغت .[3]

ثم قال قبل وفاته :

أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح .[4]

السفير الرابع : أبو الحسن علي بن محمد السمري .

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى للسيد محمد الصدر : ٣٩٩ دار التعارف للمطبوعات ، بيروت .

(٢) المصدر نفسه : ٤٠٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٠٥ .

(٤) المصدر نفسه .

تسالمت الشيعة على سفارته ولم تحمل النصوص التاريخية لنا نصاً خاصاً على سفارته ، سوى ما ورد من الناحية المقدسة توقيع بنعيه وإعلان انتهاء الغيبة الصغرى وبدأ الغيبة الكبرى واليك نصه :

((بسم الله الرحمن الرحيم : يا علي بن محمد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة . فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً . وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا فمن أدعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة ، فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)) .

٢. الغيبة الكبرى:

وقعت الغيبة الكبرى والمعبر عنها في التوقيع الشريف بـ(الغيبة التامة) وذلك بعد رحيل السفير الرابع وورود التوقيع بنعيه قبل وفاته وعدم الوصية إلى أحد ، فقد وقعت الغيبة التامة وسيظهر بإذن الله تعالى ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الدرس السادس

في عدم اعتبار السن عند الإمام :

لا اعتبار في سن الإمام ، فالرسالة منوط أمرها باختيار الله تعالى لعباده ، ولما كانت هي من أهم نعم الله وآلائه ، فإنه يهب فواضله لمن يشاء من خلقه ، صغر أم كبر ، فضلاً عن حكمته البالغة في شؤون خلقه .

وللإمامية على ذلك ما ورد في كتاب الله في قوله تعالى : ((فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا))[1] .

وإلى هذا أشار الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام في رواية يزيد الكناسي ، قال :

سألت أبا جعفر عليه السلام أكان عيسى بن مريم حيث تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه ؟ فقال: كان يومئذ نبياً حجة الله غير مرسل،

(١) مريم : ٢٧ ـ ٣٠ .

أتسمع لقوله حين قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . قلت : فكان يومئذ حجة الله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد ؟ فقال : كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبّر عنها وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت سنتان. وكان زكريا الحجة لله عز وجل وبعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجميعن وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض ... الحديث.[1]

وفي الصحيح عن صفوان بن يحيى، قال : قلت للرضا عليه السلام قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول يهب الله لي غلاماً فقد وهب لك فقر عيوننا فلا أرانا الله يومك فإن كان كون فإلى من؟

قال: وما يضره من ذلك شيء قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين.[2]

كان أبو جعفر الجواد عليه السلام مصداقاً لإرادة الله تعالى في أوليائه وحججه دون اعتبار السن ، ليجعله الله آية كما جعل ذلك في عيسى ومثله في يحيى بن زكريا .

---

(١) مرآة العقول للمجلسي : ٤ / ٢٤٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٤٦ .

مثلت اعتراضات البعض على صغر سن الإمام الجواد ومثله الإمام المهدي عليه السلام تراجعاً سلبياً في الفهم القرآني لدى طبقة سطحية من الناس استمعت إلى أراجيف السلطة العباسية يومذاك وأُدخلت ضمن برنامج تثقيفي سلبي لتطويق حالة الولاء الجماهيري لآل البيت عليهم السلام لدى الأمة ، وحاولوا خلق حالة انعزال عن المفاهيم القرآنية وتطبيقها في حجج الله من آل محمد صلى الله عليه وآله ، فهم كما يقرون بالإعتراف والتسليم لعيسى بالرسالة وهو ابن سبع سنين وليحيى بالحكمة والنبوة وهو ابن خمس سنين ، فإنهم في الوقت نفسه يستنكرون على الأمة قولها بإمامة الجواد وهو ابن سبع سنين وإمامة المهدي وهو ابن خمس سنين ، لذا كانت اعتراضات البعض هامشية بالنسبة إلى الوجود الضخم والكبير للإمام الجواد عليه السلام ، تنطلق من سلبية مصطنعة تلقيها السلطة على ألسنة المغرر بهم مع علمها بإمكانية أن يكون المبعوث صغيراً ولا اعتبار للسن في ذلك ، وكانت إجابات الأئمة قاطعة للضجة المفتعلة و اللجاج الإعلامي العابث الذي اشغل البعض أنفسهم في إثارته فبينما يستدل البعض بأدلة تنبعث من الخلفية الثقافية المتداعية من قبل النظام يواجهها الأئمة عليهم السلام باستدلالات قرآنية رائعة وإليك نموذج بعضها :

قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام : يا سيدي ان الناس ينكرون عليك حداثة سنك .

فقال : وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل ؟ لقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله : ((قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ

اتَّبَعَنِي)) . فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين .[1]

(١) مرآة العقول : ٢٥١ .

الدرس السابع

في علم الإمام :

تعتقد الإمامية بأن الإمام أعلم أهل زمانه طراً ولا يدانيه في ذلك أحد، وعنده علم ما كان وما هو كائن ، وعنده علم الكتاب وتفسيره وتبيان كل شيء .

فعن عبد الأعلى مولى آل سام: قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول : والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي ، فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن ، قال الله عز وجل فيه تبيان كل شيء[1] .

والأئمة ورثة الأنبياء ، فضلاً عن كونهم ورثة نبيهم محمد صلى الله عليه وآله ، لأنهم خلفاؤه وأوصياؤه ، والخليفة يخلف المخلف في جميع ما كان له بما في ذلك العلم والحكمة .

---

(١) الكافي للشيخ الكليني : ٣٦٢ طهران الكلية الإسلامية : ١٣٨٤ .

فعن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام : أما بعد فإن محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه فلما قبض صلى الله عليه وآله ، كنا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وأن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ... الحديث .(١)

والأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها .

فعن هشام بن الحكم في حديثه عن برية أنه لما جاء معه إلى أبي عبد الله عليه السلام فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السلام : يا برية كيف علمك بكتابك ؟

قال : أنا به عالم . ثم قال : كيف ثقتك بتأويله ؟ قال : ما أوثقني بعلمي فيه ، قال : فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الأنجيل ، فقال برية : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك ، قال : فآمن برية وحسن أيمانه وآمنت المرأة التي كانت معه ... الحديث .(٢)

والإمام عنده الاسم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا فجاء بعرش بلقيس ، والى ذلك أشار القرآن الكريم : ((قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)) ولآصف بن برخيا حرف واحد من الأسم الأعظم كما أشارت إليه الروايات فكيف بمن عنده اثنان وسبعون حرفاً ؟

---

(١) الكافي: ٣٤٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٨ .

عن أبي جعفر عليه السلام : قال : إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف بن برخيا حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..(١)

وعند الإمام الجامعة و الجفر ومصحف فاطمة .

فالجامعة : هي صحيفة فيها كل ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش .

و الجفر : هو جلد فيه علم النبيين والوصيين وعلم علماء من مضى من بني إسرائيل .

ومصحف فاطمة : كتاب فيه ما حدّثها الملك بعد وفاة أبيها وأملته على علي فكتب ذلك علياً وفيه أخبار ما يكون بعدها في ذريتها وليس هو قرآن بل هو كتاب فيه أنباء ما سيكون ، وإنما سمي مصحفاً لاجتماع الصحف فيه بين الدفتين . قال ابن منظور : والمصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين ... وقال الجوهري: والصحيفة، الكتاب وفي الحديث أنه كتب لعيينه بن حصن كتاباً فلما أخذه قال: يا محمد أتراني حاملاً إلى قومي كتاباً لصحيفة المتلمس؟

الصحيفة : الكتاب . والمتلمس : شاعر معروف ...(٢) .

---

(١)الكافي للشيخ الكليني: ٣٦٥ .

(٢) لسان العرب لابن منظور : باب صحف . ٩ / ١٨٦ ، دار صادر بيروت .

إذن مصحف فاطمة هو كتاب أملاه الملك على فاطمة ثم أملته هي على علي فكتبه بخطه وفيه أخبار ما يكون وما هو كائن .

وروى أبو بصير عن الصادق عليه السلام ، في حديث طويل ... إلى أن قال . قال : جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علّم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب ؟

قال ، فقال : يا أبا محمد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب يفتح من كل باب ألف باب : قال ، قلت : هذا والله العلم .

قال فنكت ساعة في الأرض ثم قال : انه العلم وما هو بذاك .

قال : ثم قال : يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة ؟

قال ، قلت : جعلت فداك وما الجامعة ؟

قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إلي ، فقال : تأذن لي يا أبا محمد ؟

قال ، قلت : جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت ، قال فغمز بيده وقال : حتى ارش هذا كأنه مغضب .

قال : قلت : هذا والله العلم .

قال : أنه لعلم وليس بذاك . ثم سكت ساعة ، ثم قال : وعندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ .

قال ، قلت : وما الجفر ؟

قال : وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل .

قال : قلت : إن هذا هو العلم .

قال : أنه العلم وليس بذاك . ثم سكت ساعة ، ثم قال : وعندنا لمصحف فاطمة ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ؟

قال ، قلت : وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات [1]، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد .

قال ، قلت: هذا والله العلم .

قال : أنه لعلم وما هو بذاك ، ثم سكت ساعة ثم قال : إن عندنا ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

قال ، قلت : جعلت فداك وهذا والله هو العلم .

قال : أنه لعلم وليس بذاك .

قال ، قلت : جعلت فداك فأي شيء العلم ؟

قال : ما يحدث بالليل والنهار والأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء الى يوم القيامة . [2]

وفي سؤال البعض لأبي عبد الله الصادق عليه السلام عن الجفر .

فقال : هو جلد ثور مملوء علماً .

قال له فالجامعة ؟

---

(١) لعله إشارة إلى ما فيه من العلوم الباهرة الواضحة ما سكت عنها القرآن الكريم ولم يتعرض إليها القرآن لحكمة الله تعالى البالغة ، ثم أردفه بالقول : والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إشارة إلى أنه ليس بقرآن كما يتوهمه البعض بل هو في مكنون علمه وعظيم ما فيه ، كما في القرآن من أحكام الله و بيناته .

(٢) الكافي : ٥ / ٣٨٥ .

قال : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش .

قال : فمصحف فاطمة عليها السلام ؟

فسكت طويلاً ثم قال: أنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون .

إن فاطمة مكثت ، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزائها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام .[1]

ورب سائل يتساءل :

ما معنى قول الصادق أن مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ؟ هل هو قرآن غير قرآننا هذا أم ماذا ؟

والجواب : إن مقصود الإمام في قوله ((مثل قرآنكم)) ليس من باب البدلية ، بل هو من جهة التشبيه ، فهو مثل القرآن في ما تحتاجه الأمة من الأحكام وأخبار من قد سلف وعواقب قوم آخرين ، فكذا في مصحف فاطمة عليها السلام من العلم ما في القرآن الكريم ، فبيان الفتن والملاحم وما يجري في غابر الزمان ضرب من العلوم التي اختص بها تعالى ومن فيها على من يشاء من عباده فليس فيه أحكام كأحكام القرآن وآياته ، ألا ترى في آخر حديثه قوله : ((والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)).

---

(١) الكافي: ٣٨٧ .

قال العلامة المجلسي في مرآة العقول :

فإن قلت : في القرآن أيضاً بعض الأخبار ؟

قلت : لعله لم يذكر فيه ما في القرآن .

فإن قلت : قد ورد في كثير من الأخبار اشتمال القرآن على جميع الأحكام والأخبار مما كان أو يكون؟

قلت : لعل المراد به ما نفهم من القرآن لا ما يفهمون عليهم السلام منه ولذا قال عليه السلام ((قرآنكم)) على أنه يحتمل أن يكون المراد لفظ القرآن ، ثم الظاهر من أكثر الأخبار اشتمال مصحفها عليها السلام على الأخبار فقط فيحتمل أن يكون المراد عدم اشتماله على أحكام القرآن .[1]

خلاصة القول في مصادر علم الإمام عليه السلام:

إن الإمام أعلم أهل زمانه قد آتاه الله العلم بطرق شتى من منابع مختلفة ، فقد ورث الأئمة عن جدهم العلم وقد اصطفاه الله لرسالته ، واختاره لتبليغ أمته، حتى تكون الحجة لله على عباده ، ولا تتم الحجة على الخلق إلا أن يبعث الله رسولاً هادياً ومبلغاً ونذيراً قد حباه الله بخالص علمه وأظهره على مكنون سره ، ولما كان الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله في الإنذار والتبليغ ، فإنه ورث جميع ما عند النبي صلى الله عليه وآله فضلاً عما ورثه من علوم جميع الأنبياء .

فمنابع علم الإمام فضلاً عن علمه بكتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء فإنه ورث كتب جميع الأنبياء التي نزلت من عند الله عز وجل ، وعندهم الأسم الأعظم، الذي يدعون به كما دعى به آصف بن برخيا فجاء بعرش

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للفيض الكاشاني : ٣ / ٥٦ ط٢ مطبعة الحيدري .

بلقيس حتى تكون حجة سليمان أبلغ عند الملأ لسطوع حجة وصيه وقوة دلالتها فكذا الإمام مثله لأنه وصي محمد صلى الله عليه وآله والمبلغ عنه والدال على صدق نبوته .

وعندهم الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام .

أقسام علم الإمام عليه السلام :

والى ذلك قسّم بعض العلماء إلى أن علم الأئمة عليه السلام حضوري بمعنى انكشاف الأشياء لديهم وحضورها عندهم هو إشائي أي متى ما شاءوا وأن يعلموا علموا.

بحث علماء الإمامية في هذا المجال واثبت بعضهم بأن علم الإمام حاضراً واستدل عليه بأدلة نقلية وعقلية .

أما النقلية : فما ورد عليهم السلام من معرفة ما يحدث في الليل والنهار والأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة ، وأن أمكن حصول ذلك بالطريق الإشائي كذلك .

وأما العقلية : فإن الحضوري أنفع للأمة وهو اكمل في الرسالة والإمامة وأسبغ في النعمة وأتم في القدرة ، وأكمل في اللطف ، وإذا كان كذلك فالإمام أولى باختيار الأفضل .

والحضوري كذلك ابلغ في الدلالة والمثالية وأن النبي والإمام لما كانا الشهيدين على الناس كانت الحاجة إلى علم حضوري أوفق بمهمتهما كونهما شهيدين ، وانسب بل وأكمل إلى غير ذلك من الأدلة.

والظاهر أن حضور العلم عند الإمام هو الأوفق بالأخبار الواردة عنهم صلوات الله عليهم وأكمل في التبليغ وأنسب في المقام وأبلغ في الحجة ، ومن أراد التحقيق فليراجع أخبار علومهم عليهم السلام ومراجعة الجمع

بين الأخبار المتعارضة وقد حقق في محله ، هذا وقد تصدى إلى خصوص ذلك فضلاً عن شرّاح أحاديثهم وأخبارهم أكابر الأعلام وبذلوا الوسع في التتبع ومن أراد المزيد فليراجع ما تفرق من تحقيقاتهم بهذا الشأن فضلاً عما افردوه .[١]

(١) راجع ما افرده العلامة الحجة الشيخ محمد حسين المظفر في رسالته الخاصة الموسومة بـ((علم الإمام)) .

الدرس الثامن

الإمام مُحدّث :

تعتقد الإمامية بأن الإمام محدّث ، وذلك لعناية الله تعالى به فقد هيأ له من ملائكته ما تحدثه بما شاء الله فيسمع كلامهم ولا يرى أشخاصهم هذا مقتضى مقامهم التبليغي ، فالإمام لا ينقطع عنه مدد السماء ، ولما كانت الأشياء تحدث ساعة بعد ساعة فإنه لا ينقطع عن الفيض الإلهي طرفة عين . والى ذلك أشار الرضا عليه السلام بقوله : الأئمة علماء حلماء صادقون مفهمون محدثون [١] .

قال المفيد رحمه الله في مقالاته تحت عنوان : القول في سماع الأئمة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام وان كانوا لا يرون منهم الأشخاص ، قال :

أقول بجواز هذا من جهة العقل وأنه غير ممتنع في الصديقين من الشيعة المعصومين من الضلال وقد جاءت بصحته وكونه للائمة عليهم

---

(١) البحار : ٢٦ / ٦٦ .

السلام ومن سميت من شيعتهم الصالحين واضحة الحجة والبرهان وهو مذهب فقهاء الإمامية وأصحاب الآثار منهم ...[١].

فالمحدث هو المفهم سواء كان الإمام أم غيره، إلا أن الإمام عليه السلام تفيهمه بواسطة ملك، أما سمعت قول الرضا عليه السلام عن المؤمن : أني أحب أن يكون المؤمن محدثاً قال - أي الراوي - قلت : وأي شيء يكون المحدث قال : المفهم[٢].

فإذا أمكن أن يكون المؤمن فهماً أي محدثاً فيما أراده الله تعالى وأحبه لتميزه عن الناس، فإن الإمام أولى أن يمتاز عن سائر الخلق مطلقاً، و إلا فما فضله على غيره من المخلوقين ؟

وفي كيفية معرفة الإمام أن هذا صوت ملك أم غيره ؟، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في جوابه على سؤال محمد بن مسلم عند قوله : أنه يسمع الصوت ولا يرى .

فقلت: أصلحك الله ، كيف يعلم أنه كلام الملك ؟

قال : أنه يعطي السكينة والوقار حتى يعلم أنه ملك .[٣]

قال المجلسي : والسكينة : اطمئنان القلب ، وعدم التزلزل والشك . والوقار الحالة التي بها يعلم أنه وحي .[٤]

وليس ذلك بدعاً في الإمام ، فقد سبقه إلى ذلك صاحب سليمان وهو آصف بن برخيا وصاحب موسى وهو الخضر و ذو القرنين ، فإذا أمكن في غير النبي والإمام من عباد الله الصالحين ، فكيف بحجج الله على خلقه

---

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد : ٨٠ .

(٢) معاني الأخبار للصدوق : ١٧٢ .

(٣) البحار : ٢٦ / ٦٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٦ / ٦٨ .

وأمنائه على رسالته و الأدلاء عليه ؟ فقد أحبوا الله و ناصحوا فيه فأعطاهم تشريفاً ورفعهم تكريماً .

وقد أشار إلى ذلك الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام إلى أمكانية ذلك بقوله حينما سأله حمران بن أعين :

ألست حدثتني أن علياً عليه السلام كان محدثاً ؟

قال : بلى .

قلت : من يحدثه ؟

قال : ملك يحدثه .

قلت : فأقول أنه نبي أو رسول ؟

قال : لا بل مثله مثل صاحب سليمان ومثل صاحب موسى ومثل ذي القرنين . أما بلغك أن علياً عليه السلام سئل عن ذي القرنين فقالوا كان نبياً ؟ قال : لا بل كان عبداً أحب الله فأحبه وناصح الله فناصحه فهذا مثله .[1]

لا ينافي أن يكون علم الإمام حضورياً وهو في الوقت نفسه محدّث فلعل التحديث المقصود منه في الأخبار هو ضرب من حضور العلم لدى الإمام وهو دليل على كمال العناية الإلهية الدائمة التامة ، كما أن تحديث الملك له دليل على الاتصال بالملكوت الأعلى دون انقطاع طرفة عين أبداً .

الدرس العاشر : في التسليم لكل ما ورد عن الإمام أو فيه :

تعتقد الإمامية بوجوب التسليم لكل ما ورد عن الإمام أو فيه ، ذلك لأن العقل قاصر عن أن يعرف شأناً من شؤونه أو يدرك كنه حقيقته فكيف يقدر

---

(١) البحار : ٢٦ / ٧٣ .

على بلوغ معرفة ما ورد عنهم أو فيهم ؟ ألا ترى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قد أشار إلى ذلك بقوله : ((فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره ؟ هيهات ! هيهات ! ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب ، وحسرت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وذهلت الألبّاء ، وكلّت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضل من فضائله فأقرت بالعجز والتقصير .. الحديث [1]

لذا فإن بلوغ الكمال هو الرقي إلى معارج الإيمان الناشيء من حالة التسليم لآل البيت عليهم السلام والى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ((ويسلموا تسليما)) ، قال : التسليم في الأمور وهو قوله : ((ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)) [2]

وعن عبد الرحمن بن سالم الأشل عن أبيه ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : يا سالم إن الإمام هادي مهدي لا يدخله الله في عماء ولا يحمله على هيئة ليس للناس النظر في أمره ولا التخير عليه وإنما أمروا بالتسليم[3] .

إذن فالتسليم حالة رقي روحي تتجرد به الروح عن كل ما يشينها من حالات القلق والاضطراب وتحوز على حالة اطمئنان تحصل إلى مصافي من كشف له الغطاء ، ألا ترى أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قد جعل

---

(١) معاني الأخبار للصدوق : ٩٩ مؤسسة النشر الإسلامي جامعة المدرسين قم .

(٢) بصائر الدرجات للصفار القمي : ٥٢٢ منشورات مكتبة المرعشي / قم ١٤٠٤هـ .

(٣) المصدر نفسه .

المؤمن المُسَلِّم لما ورد عن أئمته كمن انكشف له الغطاء من الرسل وقارن مرتبة التسليم بمرتبة الرسل المسلّمين لأمر الله تعالى ؟

فعن المفضل بن عمرو قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام بأي شيء علمت الرسل أنها رسل ؟

قال : قد كشف لها عن الغطاء .

قال : قلت لأبي عبد الله بأي شيء علم المؤمن أنه مؤمن ؟

قال : بالتسليم لله في كل ما ورد عليه [١].

إن حالة القلق التي تنتاب الإنسان هي حصيلة ظروف قاهرة تخترق روحه ووجدانه، وهي نتيجة اضطراب ثقافي يتجاذبه ليوصله إلى مراحل الهوس الفكري عندها تنتابه حالة يأس وقنوط فتراه يتخذ وسائل تافهة للتعبير عن وجهة نظره ، وتحكيم مشتهياته الفكرية في تفسير الرواية أو التشكيك في أخرى ، وليس هذا حسب بل يتبنى آراء الطرف المقابل لمدرسة أهل البيت عليهم السلام بعذر برمجة الروايات الواردة على أساس الثقافات العامة والأفكار المرتجلة وبحجة عدم ملائمتها للعقل الإنساني فضلاً عن ملائمتها للمدارس التثقيفية الاستشراقية .

فعن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال سمعته يقول: أما والله أن أحب أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم بحديثنا، وأن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إليّ، الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروي عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه ، اشمأز منه وجحده وكفر بمن دان به

(١) المصدر السابق : ٥٢٢ .

وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج والينا سُند، فيكون بذلك خارجاً من ديننا.[1]

إن اللهجة المشددة التي استعملها الإمام عليه السلام هي لربما احترازية لقطع الطريق على كل المحاولات القادمة من جهة الثقافات الحاكمية التي هيئت الذهنية العامة للتشكيك بشرعيتهم ، وربما هو رد للأساليب الإنفعالية المستخدمة في قراءة أحاديث الأئمة عليهم السلام ، وإلا فإن وصف الراد لحديثهم هو الخارج عن ولايتهم دلالة على حالة الانسلاخ العقائدي التام لمثل هذه النماذج الانفعالية ، لذا فإن الأئمة عليهم السلام أمروا شيعتهم بالتسليم فيما إذا اضطرب فهمهم عند تلقي الرواية الصادرة عنهم وإرجاعها إليهم ، ذلك اسلم لحقيقة الإيمان وإلا فهو خروج عن ولايتهم الذي هو خروج بالتالي عن ولاية الحق تعالى، واليك نماذج من تلك الحالات غير الطبيعية التي عالجها الأئمة عليهم السلام وتصدوا لها بشدة :

عن سفيان بن السبط قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : أليس عني يحدثكم ؟

قلت: بلى .

قال: يقول : للّيل أنه نهار والنهار أنه ليل ؟

قال، فقلت له : لا .

فقال: رده إلينا، فإنك إن كذّبت فإنما تكذبنا .[1]

---

(١) البحار للمجلسي : ٢٥ / ٣٦٦ .

عن علي السناني عن أبي الحسن عليه السلام أنه كتب إليه في رسالة :

ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا هذا باطل وإن تعرف خلافه ، فإنك لا تدري لم قلنا وعلى أي وجه وصفة .[٢]

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أو عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

لا تكذّبوا بحديث أتاكم أحد فإنكم لا تدرون لعله من الحق فتكذبوا الله فوق عرشه [٣].

التسليم ... حالة تربوية رائعة :

إن الأئمة عليهم السلام حرصوا على حالة التوازن النفسي لدى المسلم وحاولوا معالجة القلق وعدم الاستقرار الذي يصاب به المرء فيما إذا قصر عقله عن معرفة أو تفسير ما ورد عنهم ، فحالة التسليم هي حالة التوازن الصحي الذي يضمن استقامة المؤمن في كل تعاملاته الحياتية فضلاً عن المستجدات الثقافية المطروحة يومياً ، وإليك حالة علاجية رائعة جديرة بالاهتمام :

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن حديث آل محمد عظيم صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان .

---

(١) بصائر الدرجات : ٥٣٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر نفسه .

فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله فلانت قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه .

وما اشمأزت له قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله والى الرسول والى العالم من آل محمد صلى الله عليه وعليهم ، وإنما الهالك أن يحدّث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله ، فيقول : والله ما كان هذا ، والله ما كان هذا ، والإنكار لفضائلهم هو الكفر .[1]

إن التأديب الذي أدّب الأئمة عليهم السلام شيعتهم به هو أرقى حالات العبودية لله تعالى ، فإذا سلّم المرء بأن قولهم هو قول الله فإن التسليم لقولهم، تسليم لما أراده الله تعالى وهو منتهى العبودية منهم إليه وطاعتهم لما ورد عنه، لذا نبه الإمام الصادق شيعته إلى ذلك وأدبهم عليه فما رواه يحيى بن زكريا، عنه قال :

سمعته يقول : من سرّه أن يستكمل الإيمان فليقل : القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد عليهم السلام فيما أسرّوا وفيما أعلنوا وفيما بلغني وفيما لم يبلغني .[2]

احتجت الإمامية بوجوب التسليم لكل ما ورد عن آل البيت عليهم السلام فضلاً عن أن قولهم عن النبي صلى الله عليه وآله الذي هو عن الله تعالى ، فإنهم احتجوا كذلك بقوله تعالى : ((قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا))[3] .

---

(١) البحار : ٢٥ / ٣٦٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٦٤ .

(٣) الكهف : ٦٧ ، ٧٠ .

قال العلامة المجلسي :

في هذه القصة تنبيه لمن عقل والتسليم في كل ما روى من أقوال أهل البيت عليهم السلام وافعالهم مما لا يوافق عقول عامة الخلق وتأباه إفهامهم وعدم المبادرة إلى ردها وأفكارها ، وقد مر في باب التسليم فضل المسلمين ما فيه كفاية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .[1]

أقول : يستفاد من هذه الآية أن المتلقي لحديث آل محمد صلى الله عليه وآله عليه أن يتخذ الموقف الذي طلبه الخضر من موسى وما أجابه موسى عليه السلام بالتسليم والرضا لما سيفعله الخضر عند مصاحبته .

فكان طلب الخضر من موسى التسليم عند قوله : فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا .

وكان جواب التسليم من قبل موسى : ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا .

وكانت اعتراضات موسى غير منافية لعصمته مما سلم به ، بل كانت من باب الحرص والشفقة على كل ما جرى أمامه ، ولا ينافي ذلك مقامه السامي وشأنه العظيم ، وإنما الذي أردنا قوله أن المعترض على ما ورد عن آل محمد صلى الله عليه وآله لا لوازع ديني ولا لغيرة تدفعه للحرص على حياض عقيدته ، بل هي حالات غرور تنتج عنها حالات تهور تسيء إلى فكره وفطرته السليمتين فيتخبط في السؤال ويتعثر في الفهم والتفسير .

---

(١) البحار : ٢٥ / ٣٦٤ .

التسليم لا يعني إلغاء دور العقل أبداً :

إن أقصى ما يتوسل به المعترض على القول بالتسليم هو اعتراضه على أن ذلك إلغاء لدور العقل ، والقرآن الكريم حرصت آياته على التفكر والتعقل ، ففي مواضع كثيرة وردت : أفلا يعقلون ، لعلهم يعقلون ، أفلا يتفكرون إلى آخره من الآيات الحاثة على استخدام العقل والتفكر لبلوغ الإيمان والاكتمال .

إن قلت : دور العقل محفوظ بل شدد عليه أئمتنا في استخدامه للخلوص إلى مقتضيات الإيمان ومراقي الاكتمال ، ألا تسمع قول أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له لعقيل : نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل و به نستعين [١].

وفي خطبة له يصف قدرة الله تعالى وعظيم خلقه : بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم [٢].

لكن الذي أراده أئمتنا عليهم السلام، أن للعقل مناطق خاصة يؤذن لأحدنا استخدامه فيها لا مطلقاً، أي أن ما يتعلق في دين الله تعالى من أحكام وحالات لا يمكن زج العقل وإقحامه من جهة معرفة حيثياتها وعللها فإن دين الله لا يصاب بالعقول، ومثل ذلك ما تعلق بالإرادة الغيبية في خلقه تعالى، فلا يحق لأحدنا أن يزج فكره في معرفة كنه موارد غيبه تعالى،

---

(١) نهج البلاغة : ٣٤٧ / ٢٦١ ترتيب صبحي الصالح منشورات دار الهجرة .

(٢) المصدر نفسه.

ومن أهم مصاديق ذلك أحوال أئمتنا عليهم السلام وشؤونهم وما ورد عنهم صلوات الله عليهم أجمعين .

إن التسليم لم يكن حالة لمصادرة الحركة العقلية عند الإنسان ولا تجريداً للحرية الفكرية له، بل التسليم جرعة حياتية تُضَخُ للإنسان من أجل تفعيل قواه الفكرية بتوجيهها تربوياً إلى ما فيه الخير والصلاح، وإبعادها عن الهوس الفكري والرجّات الثقافية المفتعلة القادمة ضمن تيارات موبوءة .

إن النظرات المترهلة والرؤيا الباهتة عند قراءة الحديث المتسببة عن تشنجات فردية لا تعالج إلا بفعالية التسليم ، فهو الخط البياني التصاعدي الذي يشير إلى الحالة الصحية للتفكير الإيماني عند تلقي الحديث .

فالمداخلات الفكرية المرتجلة لتفسير أحاديث آل البيت عليهم السلام تتهافت عند اصطدامها بالمصداق القرآني لحالة التسليم في قوله تعالى :

((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)) (١)

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

(١) النساء : ٦٥ .

الفهرس

الدرس الخامس

الدرس السادس

الدرس السابع

الدرس الثامن